قاسم سلطان

أبواب و نوافذ

أوراق من تجارب الحياة

قاسم سلطان

أبواب ونوافذ

أوراق من تجارب الحياة

اصدارات «البيان»

هاتف: 3444400

فاكس: 3445257–4064234

http:www.albayan.ae

الإخراج الفني:

عبد الحميد الدبار

الطبعة الثانية

2006

جميع الحقوق محفوظة

مطابع «البيان» التجارية – دبي

هاتف: 3444400 ـ 3445297

فاكس: 4064417

أبواب ونوافذ

أوراق من تجارب الحياة

الباب
الأول

أوراق وجدانية

العرب يحكمون العالم !

شاهد رجل رجلاً آخر يركض بسرعة، فلحق به وسأله: ما بالك تركض بهذه السرعة؟ قال له: سمعت ان القيامة سوف تقوم غداً، فرد عليه: الحمد الله، عندنا اذن ستقوم بعد غد!

هذه نكتة توجز وضعنا الحالي، حيث أصبح البعض منا لايملك إلا الاستهزاء والسخرية في مثل هذه الامور وأصبحنا للاسف اضحوكة بين بني البشر بمختلف اجناسهم، ودياناتهم، بعد ان كنا خير امة اخرجت للناس، وهذا ما اوصلنا اليه وضعنا الحالي واختلافاتنا الدائمة حول قضايا اساسية، والتعامل معها بلامبالاة وكأننا لا نملك خياراً آخر وبهذا سوف نعطي للآخرين الفرصة للاستمرار في انتقادنا والسخرية منا، كما حدث ويحدث في اختلافنا الدائم والأبدي حول رؤية الهلال. لتقرير مناسباتنا الدينية

في الوقت الذي لا تتوقف فيه افكار العالم من حولنا في مجال العلم والمعرفة عند حد معين وآخرها الصور والتقارير التي ارسلتها المركبة الفضائية الأميركية «اسبريت» والبحوث التي اجريت في محطة الفضاء (ناسا) والتي تفيد بإمكانية وجود حياة على سطح كوكب المريخ قبل حوالي 3,6 مليارات سنة.

وبهذا تثبت أميركا للعالم انها الاكبر والأقوى ليس بعتادها العسكري، واسلحتها المتطورة بل ببحوثها العلمية وابتكاراتها الجديدة واكتشافاتها اللامحدودة في شتى المجالات وليس على الارض فحسب بل حتى في الفضاء وعلى الكواكب، التي كان الوصول اليها حلماً يراود خيال علماء العالم، وطبعاً، هذا ليس بغريب على أميركا التي تقود العالم منذ منتصف القرن الماضي، وتسيطر على امواله وثرواته وعقول خيرة علمائه وبالذات علماء دول العالم الثالث.

لتتحكم في العالم كيفما تشاء، وهذا ماجعلها اكبر واقوى دولة ليس لان اقتصادها قوي، بل لأن ثروات العالم تحت سيطرتها، وما زالت اوروبا الموحدة تحت مظلة السوق الاوروبية المشتركة تحاول منافستها، وكذلك تفعل الصين واليابان، خاصة في مجال العلم والتكنولوجيا، لكن يبقى الوصول إلى قدراتها وقوتها صعب المنال حتى اشعار آخر.

أما نحن العرب فما زلنا متأخرين بسنين طويلة بدءاً بهجرة العقول العربية التي لم تجد المجال امامها للابداع والتميز وتطوير إمكانياتها وابرازها فرحلت ليستفيد منها من هم الاقدر على العناية بها، مرورا

بتقليدنا الاعمى لهم حتى في المأكل والملبس بل أصبحنا ننسخ حتى برامجهم التلفزيونية وبالتالي أصبح عندنا عجز وقصور في الابداع والتطور وكادت هويتنا العربية تندثر.

ألم يحن الوقت بعد للنهوض بقضايانا، وتسخير إمكانياتنا المادية، وطاقاتنا البشرية لحسم اختلافاتنا ولو تلك المتعلقة برؤية الهلال التي للاسف أصبحت الإمكانيات العلمية المتطورة تحدد بزوغه قبل الوقت إلا عندنا؟ ألا يمكن للدول العربية والإسلامية الاتفاق ولو لمرة على اعتماد اساليب علمية حديثة لتقرير مناسباتنا الدينية؟

ام نحن في حاجة ليفرض علينا خبير أميركي على شاكلة «نوح فيلدمن» (خبير يهودي أميركي في القانون الإسلامي) ويقال انه احد المشاركين في كتابة دستور العراق الجديد!

فإذا سمحنا لأنفسنا بالتراجع والتقاعس عن اهم قضايانا فسوف نعطي للآخرين ذريعة لان يفرضوا علينا ما يناسبهم.

ولا أملك إلا ان اختم بهذه الطرفة:

يقال، ان العلماء اكتشفوا جهازاً يتنبأ بالمستقبل فسألوه: من سوف يحكم الكرة الأرضية مستقبلا؟؟ فكان الجواب: العرب، فلم يصدقوا أنفسهم فكرروا السؤال عدة مرات فكان الجواب العرب!

عند ذلك سأله أحدهم: لماذا العرب؟ فرد عليه الجهاز: لأن جميع أجناس البشرية سوف ينتقلون إلى كواكب أخرى ولن يبقى إلا العرب على سطح الأرض.

قطار العولمة

منذ فترة قال لي صديق عن العولمة، إنك تنظر إلى العولمة نظرة تشاؤمية، ألا تعتقد أنها قطار سوف يركبه الجميع بمن فيهم العرب.أجبته حينها: نعم العولمة قطار وهو مهم للبشرية في المرحلة المقبلة، والواقع والمؤكد أن العرب ليسوا من قائديه، ولا هم في مقدمته، لذا عليهم على الأقل الإسراع في اختيار الدرجة المناسبة فيه.

فللقطار درجات وكابينات مختلفة، وعلى العرب إدراك ذلك قبل فوات الأوان أو قبل أن يجدوا أنفسهم داخل عربات الشحن!بعد مرور مدة على هذا الحديث، يبدو لي أن العرب فعلاً لم يدركوا ذلك، ولم يستطيعوا حجز مقاعدهم داخل القطار، لذا دفع بهم داخل عربات الشحن كما توقعت وضمن أمتعة يتصرف فيها أعداؤنا كما يشاؤون.

إما أن يستفيدوا منها، وإما أن يرموها للمغامرين لنهبها أو حجزها

لحين الحاجة إليها حتى فقدنا توازننا، وأصبحنا لا ندري ان كان سيحالفنا الحظ لنصل إلى بر الأمان ولو داخل عربة شحن! أم أنهم سوف يتخلصون منا قطعة قطعة لينتهي دورنا في التاريخ؟

فلماذا وصل العرب إلى هذا الضعف؟ ومن المسؤول عن ذلك؟ وأين نحن من أسلافنا الذين قادوا العالم أم أن التاريخ بالغ في كشف الحقائق لنا؟

يقول التاريخ إن أسلافنا كانوا سادة العالم، نعم سادة العالم، الكل كان يسعى لكسب ودهم ويتمنى الانتماء إليهم وإلى ثقافتهم، سواء كان ذلك حباً وإعجاباً بهم أو طمعاً في اللحاق بركبهم.أما اليوم فأصبحنا عاجزين والكل ينظر إلينا نظرة استعلاء واستهزاء حتى الشعوب التي كنا نظن أنها أضعف منا!

فعلى مر الزمن، والعرب منشغلون عن الحقيقة باختيارهم، ويحاولون خلق أعذار واهية، مفادها ان الاستعمار هو السبب في حالة الضعف التي وصلنا إليها، لكن بعد استقلالنا أصبحنا أقل شأناً، وفقدت الإرادة الشعبية، في ظل الحصار الفكري الذي كان أسوأ من حصار الاستعمار، وتم بالتدريج القضاء على الرأي الآخر، وإحباط أي محاولة للنهوض قبل أن تبدأ.

في ظل كل هذا وجدت الحكومات الغربية مرة أخرى الباب مفتوحا لاختراق بيوتنا سواء فتحت لها طواعية أو بالغصب بحجة الديمقراطية والإصلاح.واستغلت هذه الحجة وادعت بأن ثقافتنا بما فيها ديننا الإسلامي هي السبب في تخلفنا، حيث تشيع بأن الإسلام هو المسؤول عما يجري في الدول العربية وهي بذلك تريد ألا يكون

للشعوب العربية رأي لا في دينها ولا في دنياها وتبقى ضائعة بين رغبتها في ممارسة حقوقها التي تحلم بأن تنعم بها كاملة يوماً ما، وبين الخوف من أن يسلب منها كل شيء حتى معتقداتها ممثلة في الإسلام. مع ان الإسلام الذي أصبح البعض يتحدث عنه بسلبية ويهاجمه نجده مزدهراً ويقود التنمية في دولة إسلامية، مثل ماليزيا التي تمارس فيها الديمقراطية بكل ألوانها وبين جميع فئات المجتمع بمختلف عقائدهم ومذاهبهم.

اختار شعب ماليزيا ان يكون صاحب الكلمة في تحديد الأفضل والأنسب له، ولم يسمح بأي تدخل خارجي للضغط عليه أو كبت حرياته، وهو بذلك أوجد لنفسه مكاناً في قطار العولمة منذ زمن.هكذا عملت وتعمل هذه الدولة الإسلامية، حيث فتحت المجال أمام شعبها للتطوير والابتكار لأنها تدرك بأنه العجلة التي سوف تنطلق بها إلى قرن التكنولوجيا والعولمة، فبوضعها الحالي أصبحت هذه الدولة المسلمة الأقرب إلى أسلافنا العرب.

أسلافنا الذين لم تقف أية عقبات في سبيل تحقيقهم انجازات تمثلت في نشرهم للإسلام، وصنع حضارات ما زالت شاهدة على تاريخهم في دول لا يسمح الآن لبعض العرب والمسلمين بزيارتها ولو بتأشيرة. فإذا كان الواقع يشير إلى ان الشعوب العربية لم يعد لديها طموح حتى للركوب داخل عربة شحن فهل سيرضى الجيل القادم بهذا الوضع أم سوف يكون له رأي آخر؟.

محتل نعرفه خير من محتل لا نعرفه !

عند من نبكي؟ وعلى من نبكي نحن أمة العرب؟ أعلى الدمار المتواصل في فلسطين؟ أم المتجدد في العراق؟فعندما نتابع على الفضائيات امرأة فلسطينية تبكي ولدها، وتزغرد في الوقت نفسه لأنه استشهد فداء لوطنه لا يمكننا إلا ان نعترف لها ولأنفسنا بأننا أضعف منك يا أم البطل، ونقف احتراماً وتقديراً أمام شجاعتك، وحائرين وعاجزين ومستسلمين امام قوة ارادتك.

قدر هذا الجيل ان يستقبل اشهراً من رمضان وجزء من الوطن العربي محتل أو احتل وشعوبه تناضل من اجل تحريره، وهو لا حول له ولا قوة اللهم إلا متابعة ما يحدث عبر القنوات الفضائية بشكل يومي ويقف يائساً امام الاجرام وغطرسة الآخرين على الأمة العربية دون ان يمتلك القدرة على الاعتراض ولو سلمياً، يصوم ويفطر وجزء من أمته في حالة يرثى لها، تدمر مدنه، ويدفن مواطنوه احياء، أو يقهرون وتدنس كرامتهم!! إلى متى سوف يستمر ذلك؟

ومن الذي اوصلنا إلى هذه الحالة من الضعف ومن المسؤول؟ منذ زمن مضى والأسباب متعددة ومتجددة! والشعوب العربية مدركة ذلك وصابرة على بلواها وليس امامها إلا ان تأمل في فرج قريب!! خوفاً من ان يستمر هذا الوضع ويستلم هذا الارث الجيل القادم!!

الغريب في الامر ونحن في ظل هذه الاوضاع يخرج احد الكتاب باستنتاجات غريبة ويركز على أهمية فوز جورج بوش في الانتخابات الأميركية على منافسه جون كيري، بل لا يكتفي بأهمية ذلك عنده انما يقول بأن دولاً عربية كثيرة تتمنى فوزه، وذكرها بالاسم، مع اني لا اعرف مصدر معلوماته وكيف وصل إلى هذا الاستنتاج فهو حلل رأيه في النهاية بقوله: ان من تعرفه خير ممن لا تعرفه، هكذا بكل بساطة!! مع اني شخصياً لا مع هذا أو ذاك فهم وجهان لخدمة دولة واحدة هي إسرائيل، أما بالنسبة للقضايا العربية فتوجهاتهما نسخة طبق الأصل!!

لكني استغرب من مثل هؤلاء الكتاب الذين أصبحوا ملكيين أكثر من الملك؟ وأصبحت كتاباتهم بدل ان تبث الامل تبث روح الانهزامية والاحباط في جيل بأكمله، في الوقت الذي فيه كل الشعوب العربية محتاجة إلى كلمة ترفع معنوياتها وتعطيها أملاً في غدٍ أحسن. ان الكاتب يعتقد ان جورج بوش هو القادم الاحسن، اقول له نعم كيف لا يكون احسن وما نشاهده من ممارسات يومياً من حكومته، يؤكد اعتقاد الكاتب والأسباب عديدة:

. لأن حكومة جورج بوش لم تساند ابداً حكومة «جورج شارون» العنصرية!! ولم تدعمها بأسلحة الدمار الفتاكة التي تقتل أبرياء يدافعون عن وطنهم.

. لانه لا يؤيد سراً وعلناً الممارسات الاجرامية التي ترتكبها إسرائيل يومياً

في حق شعب بأكمله!!

. لأنه لم يستعمل حق الفيتو في مجلس الأمن عدة مرات عندما حاول المجلس اتخاذ قرار لا يسمن ولا يغني من جوع ضد إسرائيل!

. لانه لا يؤيد إسرائيل ولا يشجعها على الاعتداء على مواطنين يعيشون على ارض سوريا وهي دولة مستقلة.

. لانه لا يهدد الدول العربية والإسلامية بين فترة واخرى باتخاذ إجراءات ضدها أو بفرض عقوبات عليها وبصفة خاصة سوريا وايران واخيراً لبنان!

. لأن افراداً من حكومته لا يسمح لهم ابداً بالاستهزاء من العرب والمسلمين ولا يقوم بعضهم باطلاق تصريحات ضد الإسلام والمسلمين!

. لأنه لا يعتبر الإسلام مصدر الارهاب ولا يتدخل في الشؤون الداخلية للدول المستقلة ولم يطالب بتغيير المناهج التعليمية في مدارسها!

. لانه لم يأمر بقتل آلاف الابرياء وتدمير المنازل في العراق ولم يخلف وعده الذي قطع لهم بالحرية والازدهار!

. لأنه لم يأمر بالممارسات اللاأخلاقية والتعذيب في سجن أبو غريب أو على الأقل عاقب كل من تسبب فيها!

. لأن القتلى في العراق لم يتجاوز عددهم عشرات المرات عدد القتلى خلال 40 عاماً!

. نعم فجورج بوش هو القادم الأحسن كما يقول اذا كان كل هذا لم يحرك ضمير مثل هؤلاء الكتاب، فخوفاً من ان يأتي يوم ونجد من يكتب ويقول لنا، نعم للاحتلال في فلسطين والعراق، فمحتل تعرفه خير من محتل لا تعرفه!! فظلم المحتل الحالي خير من ظلم محتل ربما يكون أسوأ!!

إنه لأمر غريب فإن لم تستح اكتب ما شئت!

خيال المخترعين وأمجاد العرب

الولايات المتحدة وأوروبا، لا تكلان جهداً، لتسخير كل الإمكانيات المادية والبشرية للدخول في تجارب تلو الاخرى، دون خوف من الفشل سواء كان اقتصادياً أو فنياً، وبهذه الاستراتيجية قد حققتا نجاحات باهرة بقدر ما اخفقتا احياناً وهذا شيء متوقع. وما شهدناه كثيرا وما سمعنا عنه أكثر، حيث هناك اليوم ثلاثة مشاريع مستقبلية، تداعب خيال المخترعين الطامحين إلى الاكتشاف والتقدم، لكنها قد تصبح حقيقة تغير مجرى حياة البشرية بشكل جذري، وان تم ذلك فسوف ينعم جيل المستقبل، بنعمة لم ننعم بها نحن.

اول هذه المشاريع ذلك المشروع المستقبلي الضخم (عبارة عن بناء أطول نفق في العالم يعبر الاطلسي، ويربط بريطانيا بالولايات

المتحدة، ويشتمل على قطار ينقل الركاب من لندن إلى نيويورك في اقل من خمس ساعات، أي تستغرق الرحلة مدة اقل من الطائرة، وهذا المشروع الخيالي، يخطط له مجموعة من العلماء والمهندسين ويحلمون بانجازه في يوم من الأيام.

- مشروع آخر في التوجه نفسه إلا انه فضائي وان تحقق فسوف يقلب مفاهيم وجهات السفر لدى الاغنياء وهو عبارة عن انشاء اطول عمود يربط الارض بالفضاء الخارجي ويتم انشاؤه على غرار برج في نهايته فندق ومطعم، وكل وسائل الراحة والترفيه، في الفضاء، وسوف يمكن للإنسان القيام برحلة إلى الفضاء الخارجي ليستمتع بقضاء اجازة لم تخطر على بال احد من قبل!

لكن مثل هذه المشاريع الخيالية، قد يعتبر الكثيرون التفكير فيها ترفا لا يجرؤ على الحلم به حتى الاثرياء، خاصة ونحن نعيش في عالم ما زال يعاني أكثر من نصف سكانه من الفقر والجوع، لكنها تظل اجتهادات مبتكرين طموحين يحلمون بانجازها، وقد يتحقق لهم ذلك.

- ومن الاكتشافات الحديثة المتعلقة بصحة الإنسان والتي استأثرت باهتمام العلماء لسنين طويلة، ومن الصعب تصديقها: اكتشاف عقار ينشط ويجدد مختلف الخلايا في جسم الإنسان ويعيد حيوية الشباب اليها، ويعطي الإنسان فرصة أخرى للاستمتاع بهذه المرحلة حيث يصبح شخص في الستين وكأنه في الثلاثين من عمره.

وقد تمت تجربة هذا العقار على الجرذان وجاءت النتائج

ايجابية، وتتم الآن تجربته على بعض المتطوعين وقد يحقق نتائج جيدة كما قال احد العلماء.

هكذا يتقدم العالم بسرعة فائقة، وفي شتى المجالات وما لم نستطع تصور حدوثه قد يحدث مع الجيل القادم، والدليل التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهده عصرنا هذا والذي كان من الصعب علينا تصديق حدوثه فيما مضى، وآخره، نزول مركبة الفضاء «اسبريت» التي اطلقتها وكالة ناسا الأميركية، على سطح المريخ.

وتمكنها من ارسال صور حية من هذا الكوكب الذي يطلق عليه كوكب النار بعد الاخفاق في الوصول اليه عدة مرات، هكذا كان حلماً وتحقق، لكن الأسئلة التي مللنا من تكرارها، والتي تدور في ذهن كل عربي، اين نحن من كل هذا مع ان ديننا الحنيف، والرسالة المحمدية، بدآ بالحث على العلم والمعرفة، والتأكيد على اهميتها؟

وجاءت اول آية مع نزول الوحي على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم «اقرأ باسم ربك الذي خلق» ونزلت بعد ذلك آيات قرآنية تتحدث عن العلم وحتى عن الكواكب والنجوم، واكدت الاحاديث النبوية الشريفة اهمية العلم، ومن هذا المنطلق اجتهد المسلمون الاوائل، وكان لهم دور كبير في اكتشاف علم الفلك والرياضيات، والطب وعلوم اخرى، وكان لهم السبق في وضع اللبنة الأساسية لهذه الاكتشافات العلمية، ولهم الفضل، فيما وصلت اليه دول الغرب في هذا المجال بشهادة علمائهم.

وبعد اخفاقنا في تحقيق شيء في عصرنا هذا، مازلنا نعيش على امجادهم، بعد ان عجزنا عن النهوض من جديد.ومع ذلك مازال علماء العرب والمسلمين، يواصلون عطاءهم، ويسعون جاهدين دون كلل أو ملل لتحقيق انجازات في المجالات العلمية والمعرفية بما فيها علم الفضاء، لكن خارج أوطانهم فمن المسؤول؟.

من المسؤول عن كل هذا ؟

المشاريع العلمية المستقبلية التي يزمع علماء الغرب تنفيذها خلال السنوات المقبلة أشبه بالخيال عند قراءتها لكنها ممكنة التطبيق في ظل ثورة العلم والتقنية المذهلة.. وكنت أتساءل دائماً حول اخفاق العرب وعجزهم عن النهوض من غفلتهم: فمن هو المسؤول عن كل هذا؟

وقد يقول البعض ان الاستعمار هو السبب في تراجعنا وتخلفنا، وهذا أسهل وأبسط ما يقال.

وقد يقول آخرون: ما نحن عليه الآن هو نتيجة لتلك الفترة السيئة الذكر.. وقد يكون في ذلك شيء من الصحة.. لكن الاستعمار جاءنا لضعف منا ولتركنا المباديء الإنسانية لديننا وقيمنا، ولاهمالنا جوهر الأمور، وتمسكنا بالقشور فقط، وهذا ما أردناه لانفسنا واستفاد منه

الاستعمار والحكومات المتعاقبة، والشعوب إما نائمة واما مصدقة لهذه الحكومات في انتظار تحقيق الوعود.

لاشك أن الضعف والتخاذل الذي وصلنا اليه هو ما ارادوه لنا، سواء كان ذلك بحسن نية منا أو بسوء نية منهم!

لكن هذا الاستعمار الذي مازلنا نحمله كل شيء، قد رحل عنا منذ حوالي نصف قرن، ولاشك انه درب البعض لخلافته، لكنهم ما كانوا ليستمرون لولا مباركة الشعوب لهم، وفجأة وفي انصاف الليالي ظهرت حكومات تحمل شعارات براقة بتصفيق وتهليل من الشعوب التي اعتقدت انها سوف ترقى بها، لكن مع مرور الزمن اتضح انهم أكثر ضعفاً ممن سبقوهم!

يقول أحد اساتذة التاريخ العربي الإسلامي: ان الحالة التي تمر بها الامة العربية في هذه الأيام، لم يذكر التاريخ أسوأ منها، والعالم العربي يعيش حالة من الضياع والتفكك، لم يشهدها اي عصر فيما مضى.. ومازال الوضع على ما هو عليه، الحكومات تعد وتكذب، والشعوب تصدق وتنتظر!!

وكل يدعي بان حكومته هي الافضل، ألم يقل احد كبار الشخصيات العربية، ان الرئيس الحالي لبلاده هو افضل رئيس جاء إلى الحكم؟ هذا ما يردده بعض المسؤولين عن بعض الحكام لدرجة أننا أصبحنا لا نستطيع ان نميز بين الهاطل والباطل!!

وهناك حكومات تقدم تنازلات «حكيمة» تلو التنازلات وشعوبها تقدم تراجعات محكوم عليها!

إن المتربصين بنا والطامعين في ثرواتنا يدركون انه لا يمكننا

صدهم، ونحن في هذه الحالة من الضعف.. ترى من الذي أوصل الشعب الفلسطيني إلى هذه الحالة؟!

ومن الذي اوصل الشعب العراقي إلى هذا الوضع؟

من الذي أوصل الشعوب العربية إلى الشعور بالقهر والذل؟

الجواب واضح، تعدد المسؤولون عن كل هذا والظلم واحد ومازالت الشعوب العربية مضطرة للتصفيق لكل مسرحية هزلية متكررة تبكيها وتضحك الآخرين عليها، ابتداء من الزيارة المشؤومة للقدس، ومرورا بتنازلات محكوم عليها، وانتهاءً بالتخلي عن اسلحتنا وقدراتنا العلمية المستقبلية في انتاج اسلحة الردع والدفاع عن النفس ومن دول كانت تسمي نفسها دول الرفض والتصدي! وكلها توصف بقرارات حكيمة!!

إن أي أمة جاهلة لاتستطيع الاستمرار في عصر العلم والمعرفة، وهكذا هي الشعوب العربية نائمة في سبات عميق ومتخلفة بمراحل كثيرة عن الشعوب الأخرى، فكيف لها أن تتوقع من شعوب العالم ألا تنظر اليها بسخرية؟

هي تطالب بان تحقق لها كل امنياتها على طبق من فضة واحياناً تفضله من الذهب!

تريد كل ذلك بدعوات وأمنيات، وهم يحققونها بإرادتهم وبالتعبير عن رأيهم دون خوف، كما حدث في جورجيا للرئيس شفرنادزة الذي تقبل إرادة الشعب بروح عالية وأصبح مواطناً عادياً يقف في طابور الناخبين.

الرجال من المريخ

قبل أسابيع قرأت كتاباً بعنوان «الرجال من المريخ.. النساء من الزهرة» وهو من تأليف د. جون غراي الاستاذ والمحاضر وترجمة د. حمود الشريف. وعندما قرأت العنوان للوهلة الأولى ظننت انه كتاب علمي فلسفي يريد أن يثبت نظرية جديدة تبحث في أصل الإنسان، لكن مع استرسالي في القراءة اكتشفت أن الكاتب يعرض من خلاله أفكاراً وتجارب تتناول العلاقة بين الرجل والمرأة، ربما تكون أفكاراً مألوفة لدينا، لكن الكاتب تفوق في كتابتها بطريقة مختلفة وسلسة.

يقول الكاتب: إن الرجال والنساء مختلفون في الطبع والصفات وعليهم إدراك ذلك والتعايش معاً في ظل كل الظروف وضمن هذه الاختلافات. ويعرض الكتاب تجارب بعض الأشخاص الذين استفادوا من محاضراته وبعض اللقاءات الشخصية لتحسين

العلاقات فيما بينهم وتعزيزها من خلال اختلافاتهم.

في بداية الكتاب يقول الكاتب: تخيل أن الرجال كانوا يعيشون في كوكب المريخ والنساء في كوكب الزهرة، وفي أحد الأيام اكتشف أهل المريخ أهل الزهرة عندما كانوا ينظرون من خلال مناظيرهم، فأيقظ أهل الزهرة مشاعر أهل المريخ فطاروا عندهم، فجمع حب سحري بينهم وفرحوا لوجودهم معاً ومشاركتهم لبعضهم البعض على الرغم من أنهم من عالمين مختلفين، وعاشوا سنوات مع بعض في حب وانسجام، ثم بعد ذلك قرروا أن يسافروا إلى الأرض فسيطر عليهم جو الأرض وتناسوا أنهم كانوا مختلفين في البداية.

وظهرت الفوارق والاختلافات التي تعايشوا بها قبل أن ينزلوا إلى الأرض، والكتاب عامة يقدم تجارب وحلولاً ناجحة لبعض المتزوجين، ويتوقع الكاتب أن يستفيد القراء، خاصة المتزوجين منهم من هذه التجارب والحلول التي يقدمها لتدوم السعادة فيما بينهم.

وكواحد من القراء أقدر الجهد الذي بذله المترجم لتقديم هذا الكتاب الينا، أي إلى القراء العرب، رغم اختلاف مجتمعاتنا وتجاربنا، وشخصياً أتمنى أن يقرأه كل زوج وزوجة علّهما يستفيدان ولو بعض الشيء من تلك التجارب والحلول، مع أن الدراسات تقول إن الشعوب العربية أقل شعوب العالم حباً للقراءة، وبالذات النصف الآخر.. مع تقديري واحترامي لهن!

إن الكاتب يتحدث عن دراسات وندوات أجراها وشارك من خلالها في حل مشاكل داخل المجتمع الأميركي، إلا أنني أعتقد أن عموميات ما ذكره من مشاكل تواجه كل المجتمعات رغم الخصوصيات التي

تتسم بها العلاقات داخل المجتمعات الشرقية والعربية، لهذا فإن قراءة مثل هذه الكتب في رأيي من شأنها إنعاش الحوار بين الأزواج، وتفيد في حل بعض المشاكل التي قد تصل أحياناً إلى الطلاق.

وهذا ما نفتقده نحن العرب، فعلى سبيل المثال هناك العشرات ممن يدّعون أنهم أساتذة في علم النفس والاجتماع ونشاهدهم في بعض القنوات التلفزيونية، مع ذلك لم نقرأ لهؤلاء كتباً أو دراسات بهذا المستوى تفيد مجتمعاتنا، حتى انهم في بعض البرامج يستشهدون بعلماء وكتّاب غربيين ويتبنون أفكارهم.

إن الدول المتقدمة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا من خلال الناتج الفكري، ومحاولة الكتابة في كل موضوع دون قيود على حرية الإبداع ودون خجل. وقبل ذلك، فإن الدول الإسلامية في عهد الفتوحات والتنوير كان لها باع طويلة في مجال الاكتشافات والكتابة، حيث كان المبدعون أصحاب رسالة، يكتبون في كل موضوع وفي كل شأن، بالرغم من إمكانياتهم البسيطة وتركوا لنا إرثاً استفدنا منه واستفاد منه الغرب، وأصبحت كتبهم مصادر ومراجع موثوقة، حيث ترجمت إلى عدة لغات، وبذلك أصبح للدولة الإسلامية شأن كبير وعززت مكانتها بعلمائها ومبدعيها الذين لم يألوا جهداً لإعطاء الكتابة دوراً في الحضارة العالمية.. فمتى سنرى إنجازات كتّاب القرن الواحد والعشرين العرب؟.

هل نتعلم من الفلبين؟

الفلبين دولة حكمتها الدكتاتورية لفترة طويلة بقيادة ماركوس الذي يعرف بأنه أشهر ديكتاتور عرفته قارة آسيا في القرن الماضي، لكن الشعب الفلبيني أراد الحياة والحرية، وكما يقول أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر

فكانت أول رئيسة بالانتخابات الحرة امرأة، ثم جاءت الانتخابات التالية، فاختار الشعب الفلبيني امرأة مرة أخرى للرئاسة وبالأغلبية. هكذا كانت إرادة الشعب، ليس لأن الفلبين لا يوجد فيها رجال أكفاء لقيادتها، لكن رغبة الشعب فوق كل شيء.

المهم أرادت هذه المرأة مؤخراً أن تثبت انها أهل لهذا الاختيار، وانها قادرة على تحمل المسؤولية دون أي ضغوط، وانها أقوى من كثير من الرجال في العديد من الدول!

ولأنها وصلت إلى الحكم باختيار من الشعب وليست مفروضة عليه أو مدعومة من قبل الدول الكبرى، رغم بعض الانتقادات التي تؤخذ عليها، لكنها خوفاً من غضب الشعب رفضت أن ترضخ للأوامر الأميركية بشأن سحب جنودها من العراق بعد أن هددت مجموعة عراقية اختطفت مواطناً فلبينياً بقتله في حالة عدم سحب قواتها من العراق.

فرأت الرئيسة أن حياة هذا المواطن البسيط أهم من الامتثال لأوامر أميركا وارضائها مهما كان الدعم المالي والمساندة الأميركية لدولتها، ولم تبال بردة الفعل الأميركية على هذا القرار.ولأنها أيضاً فكرت في مستقبلها السياسي ومستقبل حزبها بالدرجة الأولى أو على الأقل في صورتها لدى شعبها بعد تركها الحكم.

ومهما كانت النتائج، فلقد أدركت جيداً أن شعبها لن ينسى لها هذا الموقف، كما أن الحكومة والشعب الأميركي قد يتفهمان موقفها لأنها وصلت إلى الحكم بالانتخابات الحرة وهي بموقفها هذا تعطي الأولوية لرغبة شعبها.

إن مرور هذا الموضوع على وسائل الإعلام العربية مرور الكرام دون تعليق أو تعقيب على أهميته ليس بالأمر الغريب، لأن الحكومة الفلبينية آثرت خدمة الشعب بدل أن تفرض عليه خدمة أميركا!!

ما قامت به هذه الحكومة في دولة فقيرة اعتمادها الأساسي على مردود مواطنيها العاملين في الخارج ودعم ومساعدة بعض الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية ويقال انها شبه تابعة لها، قرار شجاع وقوي علّه يكون مثالاً يحتذى به في الوطن العربي، وربما يتعلم العرب من هذه الدولة الفقيرة بإمكانياتها، مع أنني أشك أنهم في حاجة إلى دروس!

وآخر الأخبار عن العرب والمسلمين جاءت من لندن، حيث انعقد أول اجتماع لعلماء المسلمين ونتج عنه ميلاد اتحاد لهم، وذلك بفضل تكاتف جهود العالم الجليل شيخ علماء المسلمين الدكتور يوسف القرضاوي واخوانه الكرام، حينها تساءلت وتساءل الكثيرون غيري: لماذا لم ينعقد هذا المؤتمر في دولة إسلامية؟!

ومهما كانت الأسباب والأعذار، فهذا دليل على ان أمرنا ليس بيدنا، ولو في أبسط خصوصياتنا!!

وما اختيار بيروت مقراً لأمانة الاتحاد إلا دليلاً واضحاً على أن لبنان كان وما زال أمل العرب ومنبراً لحرية الفكر وتعدد الآراء وإعطاء الفرصة للرأي الآخر.

ولو بارك جورج بوش والحكومة الأميركية هذا الاجتماع لتهافت كثير من الدول على استضافته!

لماذا نحن العرب نراهن دائماً على الآخرين، جورج بوش الأب، بيل كلينتون، ثم جورج بوش الابن أو آل غور، وأخيراً كيري أم بوش؟!

لماذا أصبحت الدول العربية بهذا الضعف مع كل هذه الإمكانيات

التي تمتلكها من موارد اقتصادية وقوى بشرية وكفاءات علمية.. هل فقدت إرادتها، أم انها فقدت حتى الرغبة في هذه الإرادة؟!

وفي انتظار نهوض الأمة العربية من جديد، أو ربما في انتظار ظهور حاكم أجنبي يأمر بحل مشاكلنا، مازالت فلسطين تقبع وتعاني من الاحتلال الغاشم، ثم أفغانستان فالعراق، وأخيراً دارفور.. ومن يدري ماذا بعد؟ ومن يدري واجب مَنْ نصرة المسلمين وحل قضاياهم؟!

دستور أوروبا والعملة الخليجية !

أوروبا بعد قرون من التوتر والخلافات والحروب تتوحد وتوقع على أول دستور اتحادي لدولة موحدة في المستقبل متغلبة على كل الاختلافات كاللغة، ونظام الحكم، فمنها الملكي، ومنها الجمهوري بشقيه الرئاسي والبرلماني، ومنها الشيوعي سابقاً، لكنها قررت توحيد كلمتها وتقويتها تحت راية الوحدة، متجاوزة الآلام التي خلفها القتال الشرس والحروب التي دامت فيما بينها سنوات طويلة وأدت إلى دمار شامل، وزرعت الكراهية والأحقاد بين شعوبها، حتى ان أكثر المتفائلين آنذاك لم تخطر على بالهم فكرة الوحدة.

لكنها إرادة الشعوب، استطاعت التغلب على كل تلك الظروف، وتجاوز أحقاد الماضي، وأعلنت بذلك أوروبا لأول مرة في تاريخها، وفي مدينة روما عاصمة ايطاليا عن أول دستور لدولة أوروبا المقبلة.

وهذا شيء طبيعي في ظل حرية الرأي والتعبير وفي ظل الاتحاد الذي أصبح عدد سكانه يتجاوز 450 مليون نسمة، ومئات من الأحزاب وآلاف من المنظمات الحقوقية والمدنية، والاختلافات العرقية وغيرها، إلا أن هذا كان وسيظل مصدر قوتها، ولم يكن عائقاً أمام وحدتها.

لاشك أن القارة العجوز، كما يطلق عليها، هي صانعة الحضارات الإنسانية، ومن بينها خمس دول استعمرت ثلثي العالم، وهي اسبانيا والبرتغال وفرنسا وبريطانيا وهولندا، وكان لها الفضل في اكتشاف العالم الجديد، كاستراليا والولايات المتحدة الأميركية التي تقود العالم حالياً، أما شعوبها، فلها الفضل في صنع الديمقراطية وفي التقدم العلمي والثقافي، لأنها شعوب حية، تتطلع دائماً إلى الإبداع والاختراع.

وتسعى باستمرار إلى ممارسة حقوقها كاملة، والحكم بيدها والرأي الأول والأخير لها، لذلك فإن الأحزاب السياسية المختلفة تتنافس لتقديم الأفضل لها، لأنها تدرك أن الشعوب هي التي تمتلك الرأي والحق في رسم مستقبلها، فالسلطة بيدها والحكم دائماً للأغلبية، وعلى الأقلية احترام ذلك.

وما توحّد أوروبا إلا تعبير عن رغبة شعوبها التي تريد أن تعيش في ظل دولة قوية لأن الضعفاء لا مكان لهم في زمن العولمة، والشعوب الحرة والدول الموحدة هي التي سيكون لها مكان فاعل في العالم الجديد.

لكن أين الوحدة من الدول العربية والإسلامية التي يبلغ مجموع

سكانها حوالي ملياري نسمة؟! إن أبعد طموح تحقق للعرب هو تأسيس جامعة الدول العربية قبل حوالي 60 سنة، مع أن ذلك لم يكن من صنعهم!!

ولو انتظرنا إلى يومنا هذا لما تحقق ذلك!! إن جامعة الدول العربية تضم دولاً يجمع بينها الدين واللغة والعادات والتقاليد، ومن المفروض أن يتوحد النظام العربي تحت لوائها، لكن بسبب اختلافات شكلية ظلت هذه المؤسسة العربية الوحيدة طفلة لم تكبر مع الزمن!!

وبعدها بسنوات تأسست منظمة الدول الإسلامية قبل حوالي 20 سنة، لكن هل استطاعت لم شمل الدول الإسلامية وتوحيد كلمتها؟! أم حققت ما عجزت عنه جامعة الدول العربية؟! فهذه المنظمة بكل إمكاناتها لا تساوي منظمة إسلامية صغيرة في أوروبا، أو في الولايات المتحدة الأميركية!

ووسط هذه الإخفاقات العربية ـ الإسلامية، هل لنا نحن أبناء دول مجلس التعاون أن نحلم بدولة واحدة تحت لواء المجلس؟! وهل لنا أن نحلم بخطوة اقتصادية نبدأها بعملة موحدة تكون رابع أقوى عملة في العالم؟

ربما قد تكون تلك هي البداية والدافع لاستمرار محاولاتنا التي قد نستطيع من خلالها تغيير ولو جزء من الواقع العربي إلى الأفضل.

حوار ساخن بين عام مضى وعام جديد !

حوار بين عام مضى وهو عام 2004 وعام قادم وهو عام 2005، يقول الأخير انك كنت قاسياً على العالم بحروبك ومآسيك، والدمار والاحباط الذي خلفته في العالم، ولم تكتف بكل هذا، بل قبل نهايتك ودعت العالم بكارثة لم يكن لها مثيل في التاريخ وخلفت أكثر من 150 ألف قتيل.

ودمرت أكثر من مدينة، وشردت الملايين، ويا للعجب لم يكن للبشر يد فيها!!فرد عليه الأول: نعم اعترف وأعتذر للعالم لأن نهايتي لم تكن سعيدة.

لكن ماذا تقصد بالحروب والدمار الذي خلفته؟ إن العالم في مجمله خلال أيامي كان أكثر أمناً وسلاماً من أعوام مضت، أما إذا كنت تقصد منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي بالذات،

فلعلمك ان مآسيهم بدأت منذ سنوات، وقبل عام 1948، فارجع إلى التاريخ لتتعرف على عام النكبة، وعام النكسة.

وعام الانتصار الشكلي 48، 67، 73، عام الهبوط إلى الهاوية حيث قسمت أمة العرب وأخرجت أو تنازلت عن دورها أكبر الحكومات العربية، وأكثرها فاعلية في الشأن العربي.

ثم ما ذنبي أنا في العجز الذي أصاب العالم العربي سنين طويلة، وما ذنبي أنا في تصرف حاكم عربي عام 1990 وغزوه لدولة عربية أخرى؟! فقبل توجيه التهم عليك أن تسأل هذه الأعوام.

اسأل عام 2001 وحتى عام 2003 عن الصمت العربي، وكيف لعبت هذه الأعوام في الشأن العربي وكيف تحكمت فيه قوة متغطرسة أجبرته على تقبل الإهانات بصمت دون فعل أو حتى رد فعل، هل تريد أن تكون أنت مثل العرب تنسى قراءة التاريخ؟!

ان لم يكن في استطاعتي تخطي كل هذه الأعوام وشطب كل هذه التركات الثقيلة خلال 12 شهراً من عمري، فالعرب لم يستطيعوا ذلك خلال أعوام؟

وهل تعتقد بأنك سوف تكون أفضل مني؟

رغم أن الحقائق تقول انك لن تكون كذلك، لكني لن اتهمك كما فعلت واحكم عليك في البداية فتجربتي في الشأن العربي تؤكد لي انك لن تكون أحسن ان لم تكن أسوأ!

رد عليه الأخير قائلا: لم هذا التشاؤم؟ ولماذا تحكم علي بهذا المنطق في بداية عهدي وفي أول شهر من ميلادي، والعالم كله

يحتفل، ويتمنى، ويستبشر خيرا في ظل اشهر من عمري؟ تمنى خيراً تجده، هكذا يقول المثل العربي!!!

العرب قالوا الكثير، ولو أن الأمر بالأمثلة والأقوال واللسان، لكانوا في قمة العالم، ألم تقرأ كتاب الفيلسوف السعودي، الدكتور عبدالله القصيمي، «العرب ظاهرة صوتية» هكذا هم العرب يقلبون بتصريحاتهم الهزيمة إلى النصر، والسيئ إلى الأحسن، لم يأتهم حاكم، إلا وكان من احسن الحكام، وعندما يرحل يقال فيه كلام مباح وغير مباح، والعكس صحيح.

منذ سنين مضت والعرب يحملون اخفاقاتهم لغيرهم، ضاعت الشعوب العربية بين دول يطلق عليها الرجعية واخرى تقدمية!! ومرت الأعوام وهم على هذه الحال، فبدلا من أن تنتقل الدول التي تسمى بالرجعية إلى الدول التقدمية، أصبح العكس صحيحا، وبكل المقاييس والمعايير، وأصبحت تتنافس فيما بينها على موقع الدولة الأكثر رجعية!!

وفي ظل هذا العجز وعدم القدرة على النهوض من جديد أصبح من السهل لوم الأعوام والسنين لأنها لا تقدر على مواجهة القوى التي لا تقهر والتي لم تؤثر فيها الأيام ولا السنون لأنها مستمرة في انتصاراتها الإجبارية وفي تفوقها العلمي والتكنولوجي والديمقراطي، وهي تسعى جاهدة لفرضه على الدول العربية، لأنها على يقين ان هذه الدول بوضعها الحالي عاجزة عن النهوض من جديد، ولا تجيد إلا نقل المتوفر.

يا صديقي العزيز، يا عام 2005 لا تستعجل في حكمك، فالأيام

والأشهر القادمة من عمرك سوف تريك ما لم تتوقعه، فهناك من سيستمر في صعوده ومقاومته ويتمسك بحقه الشرعي، كما فعل في الأعوام الماضية، وهناك من سيواصل صمته، ولا مبالاته كما فعل في السنوات الماضية، وهناك من سيستمر في جبروته وغطرسته كما سيفعل لسنين قادمة.

لكني أتمنى أن يتحقق للعالم العربي في عمرك ما لم يتحقق في عمري، وان تنعم شعوبه بالازدهار والتقدم الاقتصادي والسلام الحقيقي وليس المزيف الذي يتبناه البعض.

مع ذلك اشك واترك الحكم لعام 2006 ليكون شاهداً عليك وعلى ما سوف تتركه له.

الباب
الثاني

أوراق ملونة

الحلم شيء والواقع شيء آخر

لدورات الخليج طعم خاص سواء عند القادة أو اللاعبين أو مشجعي كرة القدم في دول الخليج وتتسع مكانتها دورة بعد دورة حتى داخل البيوت.

حيث يتابعها الكبير والصغير، حتى الذين لا يشجعون أو يهتمون بكرة القدم ينتظرون هذه الدورات بلهفة وحماسة مما جعل هذه الالتفافات الجماهيرية تزيد من شعبيتها دورة بعد دورة.

وتتميز دورات الخليج بالحوارات الاعلامية التي لا مثيل لها في اية بطولة اقليمية أو عربية لانها بالنسبة لأهل الخليج تضاهي بطولة كاس العالم، وتتنافس وسائل الاعلام المرئية والمقروءة على نقل الشد والجذب والتصريحات الساخنة والانتقادات والاحتجاجات.

وفي دولة الإمارات وكعادتها وجدت وسائل الاعلام الوقت مناسباً للانتقاد ومهاجمة اتحاد كرة القدم، وسياسته وخططه فيما يخص اعداد المنتخب لهذه الدورة، وكأننا حققنا انجازات في الماضي.

نسوا أو تناسوا بطولة الخليج في الكويت، ومع الاسف شارك في هذا الانتقاد افراد كان لهم دور في البطولة السابقة!!

نسوا أو تناسوا ان هؤلاء مثلهم مثل غيرهم استلموا تركة من سبقوهم!!

لاشك ان النقد السليم مطلوب، وواجب وهو الذي سيوصلنا إلى تحقيق الافضل لكن التجريح والشماتة يجب ان يكونا مرفوضين، فالجميع يعرف ان هذا الاتحاد تشكل منذ فترة وجيزة حتى ولو كان رئيسه اميناً للسر ونائباً للرئيس في مجالس الادارات السابقة، لكن اغلب الاعضاء يشاركون لاول مرة، ولا ينقصهم العلم والمعرفة بشكل عام وفي مجال كرة القدم بشكل خاص، فلماذا هذا الهجوم القاسي، ولمصلحة من؟

إذا كنا نريد تحقيق عمل ايجابي غير ارتجالي وهذا ما يريده الجميع على ما اعتقد حتى من كان قاسياً في انتقاده، فكما قلت سابقاً واكررها ثانية، علينا ان نمنح الفرصة والوقت الكافي لهذه المجموعة، ونترك للجمعية العمومية مناقشة ايجابيات وسلبيات عملها، وألا نسلب حق الجمعية العمومية بهذا الشكل، ونرضخ لاهواء شخصية، بل علينا ان نشجعهم، ونساندهم في عملهم ولو لسنتين، والأفضل بالتأكيد أربع سنوات مع اني اشك في ذلك!!

فقد يقول قائل: اربع سنوات اخرى!! وهذا من حقه بعد ان وصلنا إلى نهائيات كأس العالم منذ سنوات وكنا ثاني آسيا بعد ذلك.

هذا الكلام صحيح ولا غبار عليه لكن هل لهذا المجلس ذنب؟ ام ذنبنا نحن، بقراراتنا المتسرعة، وتغليب عواطفنا على العقل والمنطق، لم يعجبنا ثاني آسيا، وغيرنا المدرب، وكأننا كنا نمتلك الإمكانيات للحصول على كأس العالم!

والحقيقة ان حصولنا على المركز الثاني في بطولة آسيا التي أقيمت في الدولة، كان افضل انجاز حققته كرة الإمارات، مع ذلك لم يعجبنا الاتحاد ولا المدرب آنذاك.

ياسادة، يا كرام لا اشك ابداً في ان الكثيرين ممن كتبوا بحسن نية، ومن حبهم لكرة الإمارات وللمنتخب لانه يلعب باسم الإمارات وهذا الاسم غال وعزيز علينا جميعاً ونريد ان نرفع علمها في كل المجالات، لكن الحلم شيء والواقع شيء آخر، فمن لديه خطط محددة وافكار واضحة، فليطرحها ولنترك عنا كلام الاستهلاك والانتقاد والتجريح.

إن هذا الموضوع يجرنا إلى موضوع مرتبط به، فعندما ننتقد نقداً موضوعياً، علينا ان نتقبل بصدر رحب ايضاً انتقاد الآخرين، فمن خلال احصائيات وبيانات منشورة على صفحات الانترنت عن عدد المواطنين المتخصصين في الصحافة الرياضية العاملين في الجرائد الخليجية، تقول البيانات ان دولة الإمارات هي اقل الدول الخليجية التي فيها صحفيون رياضيون مواطنون!!

بدأنا ممارسة كرة القدم والرياضة بشكل عام منذ ميلاد الدولة،

اخفقنا احيانا، ونجحنا احياناً لكن اين الشباب المواطنون في صحافتنا الرياضية؟ لماذا لم يتم إلى الآن تجهيز جيل من الصحفيين الرياضيين المواطنين؟

أم أننا شطار فقط في نقد الآخرين!

إن دور الصحافة الرياضية ليس اقل من دور أي اتحاد، فأين أقلام ابناء الإمارات على صفحاتنا الرياضية؟ تكاد تكون محدودة.

ولا نريد الادعاء بان الشباب غير ميالين لهذه المهنة فالقنوات الرياضية في الدولة خير دليل على حب الشباب وحتى الشابات للعمل في هذا المجال.

الملفت للنظر في هذه الدورة ان الدولة التي اعتمدت على شبابها في انديتها هي التي كسبت الرهان، فالكرة العمانية والبحرينية كانت سيدة الموقف حتى بشهادة أصحاب اللقب.

«مملكة الجنة» والقضايا العربية

شاهدت مثلما شاهد كثير من محبي السينما فيلم مملكة الجنة «Kingdom of Heaven»، الذي تدور أحداثه في فترة الحروب الصليبية وبالذات في فترة الهدنة بين المسيحيين والعرب الذين كان يتزعمهم آنذاك «صلاح الدين».

وأعتقد أن كثيراً من النقاد والمختصين تناولوا الفيلم بشكل فني أكثر لأن هذا من ضمن اختصاصهم، لكن بالنسبة لي كمتفرج فهذا أول فيلم من إنتاج وإخراج غربي يتحدث عن المسلمين بإيجابية ومنطق وعقلانية دون إساءة، فلقد ظهر صلاح الدين في الفيلم كقائد عادل حكيم متسامح، خاصة عندما التقط الصليب من الأرض ووضعه بكل احترام في مكانه.

وهذه كانت صفات قادة المسلمين عبر التاريخ. فهم لم يسيئوا إلى

المسيحيين وديانتهم، فالإسلام يحترم كل الديانات ويتعامل المسلمون مع المسيحيين واليهود على أنهم من أهل كتاب، عكس صورة الغرب عنهم، إذ إنهم لا يعتبرون المسيحي العربي الشرقي مسيحياً، حتى إن بعضهم يتناسى أن المسيح عليه السلام ولد وترعرع في الشرق ولم يذهب إلى أبعد من ذلك، وأن اليهود هم الذين حاربوه وكانوا أشد أعدائه.

الفيلم في اعتقادي قدّم صورة حضارية، ولو مختصرة، عن المسلمين والقائد صلاح الدين. وفي نهاية الفيلم يدور حوار بين «ريتشارد» القائد الصليبي الجديد القادم حينها لمحاربة المسلمين والشاب بطل الفيلم الذي كان يدافع عن القدس مع الصليبيين بقيادة الملك «بلدوين الرابع» الذي حكم القدس قبل أن يستردها صلاح الدين، وكأن المخرج يريد أن يقول إن هناك جزءاً ثانياً للفيلم.

من يشاهد هذا الفيلم لابد وأن يسترجع أفلام الستينات التاريخية، خاصة فيلم صلاح الدين للمخرج يوسف شاهين. وكأنه جزء ثان لـ«مملكة الجنة» أي أن السينما العربية سبقت الغرب بسنين طويلة.

وتناولت هذا الجزء من التاريخ على الأقل فيما يخصها بشكل مشرف ومتميز. وعندما نقول السينما العربية، نعني بها المصرية، لكن أين الأفلام المصرية في الوقت الحاضر من القضايا العربية، وما أكثرها؟

أين الأفلام المصرية من فيلم صلاح الدين الذي تناول تحرير القدس ومعركته الشهيرة مع ريتشارد قلب الأسد؟ وأين هي من فيلم «جميلة بوحريد» الذي تناول قصة شابة فدائية شاركت في نضال

الشعب الجزائري وتعرّضت لأبشع أنواع التعذيب من قبل الاستعمار الفرنسي آنذاك؟ وأكاد أجزم أن كثيراً من شبابنا لا يعرفون من هي جميلة بوحريد ولم يسمعوا عنها.

ألا توجد حالياً مئات من أمثال جميلة بوحريد في المعركة الدائرة بين الشعب الفلسطيني وإسرائيل؟ ألا نتابع يومياً عبر نشرات الأخبار العمليات الفدائية التي تستشهد خلالها فتيات فلسطينيات في عمر الزهور؟

ألا يستحق الشعب الفلسطيني والفدائيون الفلسطينيون أفلاماً تخلّد ذكراهم وتشيد ببطولاتهم وتضحياتهم في سبيل الوطن وانتصاراتهم أمام قوة ظالمة قاهرة لا ترحم؟ أم أن هذا الزمن الرديء لم يبق للعرب قدرة على تخليد ذكرى أبطالهم ولو في الأفلام؟

سبق صحفي بألف عام !

في حوار لي مع أحد الأصدقاء قلت له: سوف أسبق وكالات الانباء العربية والعالمية بأخبار سوف تتناقلها يوم الخميس المقبل واليك جزء منها:

- يوم الخميس المقبل، سوف تعلن الوحدة بين الدول العربية من المحيط إلى الخليج.
- ويوم الخميس المقبل سوف ينتخب الشعب العربي اول رئيس للدولة العربية الموحدة، من بين 100 مرشح يمثلون حوالي 100 حزب من جميع اقطار الوطن العربي. والجدير بالذكر أن دستور الدولة الجديدة ينص على عدم الترشح إلا لمرة واحدة ولمدة 6 سنوات ومن المحتمل ألا يحصل المرشح الاقوى للفوز على أكثر من 60٪ من اصوات الناخبين.

● يوم الخميس المقبل سوف ينعقد اجتماع طارئ لرؤساء الدول الإسلامية للمطالبة بالانضمام إلى الدولة العربية الجديدة.

● ويوم الخميس المقبل سوف يتقرر اول أيام العيد في الدولة العربية والدول الإسلامية الشقيقة بعد ان ثبتت شرعا رؤية الهلال بواسطة «التلسكوب الخارق» المصنوع عربيا والمثبت في شرق وغرب الحدود، كما سيتم صنع اكبر كعكة بهذه المناسبة بحجم قارة كاملة.

● يوم الخميس المقبل سوف يعم الوطن العربي إضراب عمالي يشترك فيه 40 مليون عامل من مصانع الطائرات العربية العابرة للقارات، والسبب طرد مدير احد الفروع لعامل نظافة بسبب تأخره عن الدوام.

● يوم الخميس المقبل سوف تطلب أميركا مساعدات إنسانية من الدولة العربية الوليدة.

● يوم الخميس المقبل سوف ترسل الدولة الجديدة مساعدات غذائية إلى الدول الافريقية من انتاج جزء من ارض الوطن من الاطلس المتوسط إلى الجبل الاخضر.

● يوم الخميس المقبل سوف يستقيل وزير المواصلات في الدولة الجديدة بسبب عطل في باص للمواصلات العامة ادى إلى تأخير مصالح الركاب في احدى القرى على الحدود الاسبانية.

● يوم الخميس المقبل سوف يجتمع اول برلمان نسائي عربي للدفاع عن حقوق المرأة بسبب استقالة خمس من الوزيرات العربيات احتجاجا على قرار حكومي يرين انه يهضم

حقوق المرأة.

- يوم الخميس المقبل سوف يعلن ان افقر إنسان في الوطن العربي يتقاضى راتبا شهريا يبلغ حوالي 100 دينار عربي اي ما يساوي 1000 دولار أميركي.
- يوم الخميس المقبل سوف تحتفل الدولة العربية الوليدة بتخريج آخر أمي عربي.
- يوم الخميس المقبل سوف تدافع جمعية حقوق الإنسان العربية عن محاولة طرد يهودي من القدس إلى وطنه الاصلي بولندا.
- يوم الخميس المقبل سوف تنطلق عاشر سفينة فضائية عربية، واول سفينة في ظل الدولة الجديدة إلى كوكب لم يكتشف بعد، تيمنا بقيام الدولة.
- يوم الخميس المقبل تقرر انطلاق اول رحلة سياحية إلى الفضاء من قاعدة ابحاث الفضاء العربي، وتحمل على متنها حوالي 200 سائح، والجدير بالذكر ان هذه الرحلة سوف تكون بدون ملاحين وهي الاولى من نوعها في العالم.
- يوم الخميس المقبل سوف تعلن منظمة الصحة العالمية عن اكتشاف علاج جديد لصالح البشرية من قبل باحثين وعلماء من الدولة الموحدة ويعتبر هذا الدواء هوالاول من نوعه!
- يوم الخميس المقبل سوف يلعب منتخب الدولة العربية لكرة القدم في نهائي كأس العالم مع منتخب المانيا والمعروف ان منتخب الدولة العربية لم يهزم ولو مرة اثناء البطولة.

... استوقفني الصديق، وقال: هل كنت تحلم؟ قلت: وهل اجرؤ على ذلك، ألا تعلم ان يوم الخميس المقبل يصادف الأول من أبريل اي يوم كذبة ابريل !!

فأجابني كذبة نعم ولكن قد يتحقق كل ذلك في عام 3004 وبذلك تكون قد سبقت وكالات الأنباء فعلا بألف عام!!

تغيير المفاهيم والموروثات

في زيارة خاصة إلى لندن، التقيت أحد الشخصيات البريطانية في الطائرة وهو أستاذ في علم الاجتماع فدار بيننا حديث حول ما يجري حالياً في الشرق الأوسط والدول العربية.

خاصة موضوع تغيير المناهج التعليمية وما سوف يترتب عليه من تغيير في هوية المجتمعات العربية وتقاليدها وموروثاتها الاجتماعية والثقافية، وكذلك الدينية فدارت المناقشة حول التحولات الاجتماعية التي سوف تطرأ ان حدث وطبق تغيير المناهج التعليمية الذي ينادي به الغرب في بعض الدول العربية: قال محدثي اني بلاشك معجب جداً بالتقاليد الشرقية خصوصاً الاجتماعية وليتنا نحن الغرب نستطيع الرجوع إلى الأصالة القديمة، وليت الجيل الحالي في الغرب يلتزم

أكثر كما هو الحال في الشرق، سألته: كيف؟

قال: الجيل المعاصر في اوروبا مثلاً يكاد يفقد ارتباطه بالأسرة هذا ان لم يكن قد فقده ومن ثم الارتباط بحيه أو بقريته، اي ان لكل فرد شخصية اجتماعية مستقلة مرتبطة بالدولة وليست بالعائلة والأسرة، فالشاب أو الشابة عندما يبلغ سن الرشد يترك بيت ذويه مهما كانت حاجته إليه وبهذا هو يتخلى عن الأسرة التي ربته ورعته صغيراً وكأن لم يكن لها وجود.

بل لا يصبح له دور حتى في المشاركات الاجتماعية، فمثلاً الابن أو الابنة قد يذهب للعيش في مدينة أو منطقة بعيدة، وعندما يحدث ويتزوج الابن يتصل بأمه ليقول لها: ماما سأتزوج فتاة تعرفت عليها منذ فترة فهل تستطيعين حضور زفافنا؟ على فكرة لا تنسي إخبار الوالد اذا كان في استطاعته الحضور!

بهذه البساطة يخبر الابن والديه بموعد زفافه ويترك لهما حرية الحضور من عدمه، دون ان يؤثر ذلك على علاقته شبه المقطوعة بهما لكن هذا لايعني ابداً عدم انتماء الأفراد إلى الدولة بل على العكس، فالشخصية المستقلة هي الأكثر انتماء للدولة منها إلى الأسرة لكن ذلك يصبح انتماء مادياً بحتاً.

اي ان الفرد في الغرب ينقل حبه لوالديه واسرته إلى وطنه الاكبر لذا فإن العاطفة وحب الوالدين والاخوة يقلان مع مرور الوقت عندما يستطيع الاستقلال بنفسه، أي أنه ينظر إلى الوالدين كحاضنة مؤقتة تهيئه للتخلي عنها، وهكذا فإن المجتمع الغربي مجتمع مادي يتعامل مع جميع المواضيع بأسلوب الربح والخسارة حتى في العاطفة.

اما المجتمعات الشرقية والإسلامية بصفة خاصة فإنها مازالت متمسكة بالترابط الأسري والتواصل الاجتماعي، ولاشك ان تماسك الاسرة من تماسك المجتمع لذا نجد ان الشعوب العربية عندما يتولاها حاكم، تتمسك به وتدافع عنه وكأنه والدها، وفي رأيي ان العاطفة والتواصل من الصفات الجيدة والحميدة التي تمتاز بها الشعوب العربية واذا حصل وتم تغيير المناهج التعليمية في الدول العربية، عليكم التمسك بمثل هذه الصفات مهما كلف ذلك.

ان الخوف كل الخوف مما تطرحه بعض وسائل الاعلام الغربية ويتبناه بعض المثقفين العرب الذين ينادون بتغيير المناهج، من ان يؤدي ذلك إلى تغيير المفاهيم والموروثات تحت مسمى الحداثة والمعاصرة لذا لابد من ادراك وتدارك هذه المسألة، قلت له مع أني لست مسؤولاً عن التربية والتعليم وليست لي خبرة في هذا المجال إلا اني اوافقك الرأي، فبوادر ما يحدث عندكم قد بدأ بالظهور عندنا.

فالجيل الحاضر لا يكترث كثيراً بالتواصل الاسري والاجتماعي كما كان يحصل في السابق، وقد يرجع ذلك إلى اسباب عديدة منها الاضطرارية بسبب الالتزام بأوقات ومواعيد المدرسة والدراسة أو تضارب مواعيد العمل بين افراد الاسرة الواحدة أو بسبب انشغال الوالدين في اعمالهما، فهل تغيير المناهج التعليمية حسب أهواء الغرب سيزيد الطين بلة؟!

الأميركيون العرب .. مكاسب وهموم

خلال زيارتي الأخيرة لمدينة «ديترويت» التقيت مجموعة من العرب الأميركيين ودار الحديث حول عدد من القضايا العربية، ومن بينها هموم المغتربين والمشاكل والتحديات، التي يواجهونها، وبالذات داخل الولايات المتحدة الأميركية.

من خلال هذا النقاش اتضح لي أن ما يواجهه المغترب العربي في وطنه الجديد، ليس أكثر مما يواجهه المواطن العربي في الدول العربية، وقد تتفاوت نوعية ونسبة المشاكل بينهم.

ففي الولايات المتحدة الأميركية مثلاً، وفي ظل الحرية والديمقراطية يستطيع أي مواطن هناك التعبير عن همومه، وتطلعاته، ومواجهة كل التحديات بجرأة عكس المواطن العربي

الذي لا يستطيع ذلك بتلك الحرية دون رقابة أو تردد أو خوف.

كما أن المواطن الأميركي من ذوي الأصول العربية لديه مجالات أوسع في وطنه الجديد، لممارسة السياسة، أو العمل الاجتماعي أو التجارة، فالفرص أكثر سواءً للأستاذ الجامعي أو الخبير الاقتصادي، أو الطبيب، وفي كل موقع، كل حسب قدراته ومعرفته وإمكانياته العلمية،.

ومنهم من حقق انجازات لم يكن ليحققها في وطنه الأم، كما هو حال «رالف نادر» الأميركي العربي الأصل والذي ترشح للمرة الثانية في الانتخابات الرئاسية للولايات المتحدة الأميركية، وعندما سألت عن شخصيته أجمع الكثيرون على الاعجاب به وبأفكاره، وآرائه، هم يعتقدون أن «رالف نادر» لا يعبر عن هذه الافكار بصفته عربي الأصل، بل بصفته مواطناً أميركياً، يؤمن إيماناً قوياً بالقضايا التي يطرحها، وهو نشط وفعال في المنظمات المدنية في الولايات المتحدة الأميركية، وعندما سألت أحدهم، هل سبق وتم ادراج أحد العرب الأميركان ضمن لائحة الألف الأكثر ثراءً في الولايات المتحدة الأميركية؟

قال: ربما لكن من حقق ذلك فعلاً، قد تجده انسلخ تماماً عن جذوره، لدرجة أنك لن تستطيع معرفة أصله.

دار جزء من هذا الحديث خلال حفل الاجتماع السنوي لجمعية رجال الأعمال العرب الأميركان وكانت قناة «الجزيرة» القناة العربية الوحيدة المتواجدة لتغطية الحفل، وهذا ما جعل الكثير من الحضور يشيدون بدورها الاعلامي، وباجتهادها في تقديم

خدمات اعلامية راقية للعرب في الداخل والخارج، حيث تتواجد باستمرار لتغطية أنشطتهم، وقد علق أحد الحضور قائلا: قبل انشاء هذه القناة، لم يكن للمغتربين نافذة على العالم العربي.

ولم يكن للعرب دور إعلامي فاعل وبارز. اثبت نفسه عالمياً كما فعلت قناة الجزيرة، التي فتحت آفاقاً جديدة، وفضاء واسعاً للمواطن العربي، لتحرير أفكاره والتعبير عن رأيه في مختلف القضايا، كما أنها جسدت مفهوماً جديداً لحرية الرأي والفكر.

وإن كان هناك اختلاف حول ما تطرحه هذه القناة فهذا شيء طبيعي في ظل اختلاف التوجهات والأفكار في مجتمعاتنا العربية، مع ذلك يحسب لها أنها سبقت قنوات عمرها في عمر انشاء التلفزيون في الوطن العربي!

واستطرد آخر اننا بحاجة في عصرنا هذا إلى قنوات جادة تملك الجرأة لطرح القضايا العربية بموضوعية وحيادية، وعدم مصادرة المواضيع الحساسة أو تجاهلها. بل تقبل مختلف الآراء والتوجهات والرؤى في الوقت الذي أصبحت فيه الكثير من القنوات تتنافس لترويج «.....» حتى أن القائمين عليها توهموا أنهم حققوا إنجازاً، أو ربما كسروا الفجوة بين الشرق والغرب!!! ولن أستغرب إذا أصبح عددها في يوم من الأيام بمعدل قناة لكل متلق!

قلت له: ان مثل هذه القنوات، لا تجتذب إلا المستهلك المتفرغ، وإن كانت نسبة المستهلكين إجمالاً مرتفعة في عالمنا العربي، إلا أنه مازال يزخر بمتلقين مثقفين وواعين يتابعون القنوات الجادة وهذا

ما نلمسه من خلال المشاركات الكثيرة للمشاهدين في البرامج الحية في بعض القنوات التي تسعى من خلال برامجها الهادفة إلى اتاحة الفرصة للمواطن العربي، وتحترم رأيه وتتعامل معه باعتباره شريكاً مهماً في بناء مكانتها الاعلامية. وهذا ما دأبت عليه قناة الجزيرة إلى أن وصلت إلى هذا المستوى الاعلامي المتميز وأكسبت الدوحة مكانة في هذا المجال.

قناة «الحرّة» وتجميل الصورة الأميركية

سألني صديق: هل تتابع المحطة التلفزيونية التي تسمى قناة «الحرة»؟ عندما أجبته بالنفي قال: خيراً فعلت وتفعل لأنك لو تابعتها لازدادت قناعتك بالدور السلبي للسياسة الأميركية تجاه العرب.

وهذا ما حدث لي، فلقد تابعت هذه القناة لأنني سمعت قبل بدء البث ان هدفها الأول، هو تحسين الصورة الأميركية لدى المشاهد العربي، وكنت أظن انها سوف تعرّف الشعوب العربية بعادات وتقاليد وثقافات الشعب الأميركي الودود، والمحب للأجانب، وبالذات اسلوب حياة الأميركيين من ذوي الأصول العربية والإسلامية، ولو فعلت ذلك لكسبت المشاهدين بمختلف اعمارهم واجناسهم. وعلى المدى البعيد سوف تستطيع ان تبث سمومها

كما تشاء!!!

ثم تدخل صديق آخر وقال: في رأيي أن الادارة الأميركية توهمت كعادتها، ان تكون هذه القناة الموجهة للعالم العربي محط انظار واعجاب المشاهد العربي، لكن آمالها سوف تتلاشى أمام تناقض اقوالها وافعالها، وردود الأفعال التي سوف تكون، على عكس توقعاتها، وتزيد من نسبة المشككين في سياساتها، والشيء الوحيد الذي يحسب لهذه القناة، انها أصبحت مصدر رزق لبعض الاعلاميين الناطقين باللغة العربية!

وتابع قائلاً: ربما ظن القائمون على هذه القناة أن الشعوب العربية بهذه السذاجة لكي تصدق كل ما يبث من هنا وهناك، وغاب عنها ان العالم العربي يزخر بعدد كبير من القنوات الفضائية التي توفر للشعب العربي بمختلف طبقاته حرية خاصة واستثنائية، لا يملك غيرها وهي اختيار ومتابعة ما يريده من القنوات والبرامج على مدار الساعة!!

قلت: تعقيباً على كلام الصديقين هذه هي حال الادارة الأميركية الحالية فهي تروج لما يناسبها ويخدم سياستها، فقبل غزوها للعراق، أوهمها بعض العراقيين المتأمركين وصدقتهم، بأن الشعب العراقي سوف يستقبلهم بالورود والزغاريد، لكنها فوجئت بالمظاهرات الرافضة للغزو في البداية، وبالمقاومة المسلحة في النهاية، مما ادى إلى قتل الآلاف من العراقيين الابرياء بما فيهم النساء والاطفال ومجموعة من الجنود الأميركيين الشباب الذين لا ذنب لهم سوى انهم اداة للسياسة الأميركية، لكن كما يقول احد

الخبراء العرب ان السياسة الأميركية في السابق كانت تتبع مبدأ العصا والجزرة، اما الآن فانها أصبحت تطبق العصا دون الجزرة!!

وربما هي تريد ان تفعل ذلك من خلال هذه القناة!!

لقد كان الأحرى والأجدر بالخبراء والمستشارين في هذه الادارة اذا ارادوا فعلاً كسب العرب، ان يجروا استفتاءً بسيطاً بين الشعوب العربية لمعرفة سبب كرههم لأميركا، حيث سيأتي الجواب موحداً من اقصى الغرب إلى أقصى الشرق ، دون ان يحتاجوا لصرف ملايين الدولارات لإقامة مثل هذه القناة، وهو دعم الادارة الأميركية اللامحدود للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة للقضاء على الشعب الفلسطيني وسلب اراضيه، ولعرفوا ان الشعوب العربية، تقدر الشعب الأميركي لكنها تستفز عندما تتابع يومياً في قنوات أميركية مثل CNN وFOX، بالإضافة إلى العشرات من القنوات العربية، ما يحدث يومياً في فلسطين وما يعانيه الاطفال والنساء والشيوخ العزل الذين تدمر مدنهم وقراهم وتهدم بيوتهم ويستشهد شبابهم بأسلحة أميركية، ثم زاد الطين بلة ما يحدث في العراق.

فاذا كان انشاء مثل هذه القناة لن يغير شيئاً في تحيزها لإسرائيل، على الأقل عليها استغلالها للتعريف بالولايات المتحدة وتاريخها وثقافتها وفنونها، وحرية الفكر والرأي فيها، وقدراتها وتفوقها العلمي. ليطلع الشعب العربي على كل هذه الجوانب الجيدة والايجابية في هذه الدولة الاقوى في هذا

العصر، للاستفادة منها وربما الاقتداء بها، وعليها الاعتدال في سياستها ومساندة الفلسطينيين للعيش بسلام في ظل دولتهم المقبلة لا محال.

أما إذا استمر الوضع كما هو عليه فلن يفيدها إطلاق عشرات القنوات، وعليها ألا تحلم بتغيير مشاعر الشعوب العربية تجاهها، إلا اذا تبنت حلاً عادلاً وشاملاً للقضية الفلسطينية وهي قادرة على ذلك، فاذا فعلت وأعطت كل ذي حق حقه فلن تحتاج إلى تجميل صورتها عبر قناة تلفزيونية لانها ستصبح أجمل الجميلات في العالم!

الباب
الثالث

أوراق الواقع

خفايا الاهتمام الأميركي بالمنطقة

أسئلة لابد من طرحها ومناقشتها والتفكير فيها على جميع المستويات في الوطن العربي، حتى لو لم نستطع إبداء رد فعل إيجابي تجاه الجواب.لماذا تصرف الحكومة الأميركية الحالية المليارات من الدولارات على العمليات العسكرية؟لماذا تضحي بالمئات في أفغانستان والعراق؟لماذا تصر على استمرار هذه الحرب؟ وكما يقال قد تطال دولاً أخرى في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى؟

هل من أجل القضاء على الإرهاب؟ أم من أجل تحرير الشعوب؟ أم من أجل الإصلاح ونشر الديمقراطية في هذه الدول؟

وهل هذا يستحق كل هذه التضحيات من أميركا وحلفائها، سواءً كانت بشرية أو مادية؟ وهل هذا تفسير مقنع لكل ما يحدث

أم انه تمويه من أجل أهداف أخرى؟ أو ربما هو حسن نية من حكومة جورج بوش؟وإذا افترضنا أن الاحتمال الأخير هو الصحيح، ألا يمكن القضاء على الإرهاب والدكتاتورية إلا بالإرهاب والدكتاتورية؟

على الرغم من أن الأجوبة عن هذه التساؤلات غير واضحة، وقد تتضح بعد سنوات، لكن إذا كان تبريرهم كما يدعون هو القضاء على دكتاتورية صدام في العراق، فالرجل انتهى بكل مآسيه وجبروته، فلماذا التمسك بالبقاء وعدم ترك الفرصة والحرية للشعب العراقي لتقرير مصيره والعيش في توازن وأمان؟ لماذا الإصرار على عدم تحديد جدول زمني للخروج من العراق كما طالب الرئيس الروسي بوتين مؤخراً وكثيرون قبله؟

لقد تطوعت أميركا مشكورة وقضت على نظام صدام، مع أنه لا يخفى على أحد أن صدام من صنعهم، لكن اعتماد المليارات من الدولارات لميزانيات السنوات المقبلة للجيش الأميركي، يعني أن هذه القوات لا شغل لها إلا البقاء في العراق، والانطلاق منه إلى أهداف أخرى في ظل حكومة جورج بوش ومجموعة المحافظين الجدد! هل هذا حب في الشعب العراقي أم في العراق؟

أجرى أستاذ جامعي متخصص في الاقتصاد دراسة حول الدول المنتجة للنفط، وقسم هذه الدول إلى مجموعتين دول غنية، وأخرى أكثر غنى، فوضع دول الخليج في المجموعة الثانية نظراً لإنتاجها الحالي وما تملكه من مخزون نفطي يكفي أجيالاً قادمة. تقول الدراسة إن احتياطي بترول المجموعة الثانية، يساوي 658

مليار برميل، أما احتياطي المجموعة الأولى والتي صنفها بالغنية فيصل إلى حوالي 213 مليار برميل، مقابل ذلك فإن للولايات المتحدة الأميركية وروسيا مخزوناً احتياطياً يساوي 82 مليار برميل منها 60 ملياراً لروسيا و22 ملياراً للولايات المتحدة، أي أن هذه الأخيرة مخزونها أقل من روسيا. وإن كانت هذه الأرقام صحيحة فهي تدل على أهمية السيطرة على المنطقة ومخزونها البترولي بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية التي لن يتوقف سعيها لتدعيم قوتها العسكرية بالقوة النفطية، حتى وإن كان أكثر إنتاج هذه الدول يذهب إليها،

لكن هاتين القوتين هما اللتان سوف تمكنانها من الاستمرار في التربع على عرش العالم وقيادته لسنين طويلة وبلا منازع، فهي ترى ضرورة السيطرة على المنطقة وثرواتها وهي في عز قوتها العسكرية، وتدرك أنها إذا لم تستغل ذلك الآن فقد يأتي يوم لا تستطيع فيه أن تحقق ذلك أو تضيع منها قيادة العالم، كما حدث لدول وإمبراطوريات كثيرة قبلها.

ففي رأي المحافظين الجدد أن احتلال العراق هو الطريق إلى السيطرة على مخزون النفط العالمي، وما يصرف على هذه الحرب سوف يغطيه دخل العراق من البترول، خاصة وأن التقارير الواردة عبر وسائل الإعلام تشير إلى أنه لا أحد يعرف أين يذهب دخل العراق من النفط في هذه المرحلة، وقد كشفت هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) في تحقيق أجرته عن نهب 20 مليار دولار من ثروة العراق النفطية!

فإلى متى يظل العرب ضمن المتفرجين على ما يجري حولهم؟ وما الذي يدعوهم إلى أن يكونوا في ظل هذه الثروة الهائلة التي يتهافت عليها الطامعون أضعف الدول؟ وما الذي يدفع بالعقول والقدرات العلمية العربية للعيش خارج أوطانها التي تملك كل هذه الثروة؟.

تركيا أكثر عروبة من العرب !

تركيا بعد سنوات طويلة من العلمانية وابتعاد حكوماتها المتعاقبة عن الإسلام، اختار شعبها ديمقراطياً حزباً إسلامي التوجه لقيادته. حزباً يؤمن بالحرية والمساواة رغم المحاولات المنظمة التي اطلقت ضده لإبعاده وإضعافه. جاء حزب العدالة والتنمية إلى الحكم.

وقد استفاد من التجارب السابقة للأحزاب الإسلامية، وهو لا يملك إلا خياراً واحداً هو التمسك بالقوانين والأعراف التركية، ومن ثم الاستمرار في رؤيته الإسلامية، وعدم الاصطدام بالحداثة أو الخضوع لتقديم تنازلات قد تكلفه كثيراً.

اما فيما يخص السياسة الخارجية، فلقد حاول الحزب الحاكم خلق وسائل جديدة للتقارب خاصة مع الدول العربية، حيث بادر

رئيس وزرائها بالاتصال بالحكومات العربية، وقام بزيارة بعض منها، وردت بعض الحكومات العربية الزيارة، لكنها لم تكن مثمرة أو ذات فاعلية أو موقف ايجابي يذكر والأهم الإعلان عن تعاون مشترك في المستقبل.

لكن بدلاً من الاستمرار في المحاولة وخلق مجالات جديدة للتقارب ودعمها إعلامياً على الأقل، بادرت بعض الصحف الرسمية في أكثر من دولة عربية بمهاجمة هذه الحكومة والتشكيك في نواياها وحتى في شعارها الإسلامي، وعلى الرغم من ان تركيا في ظل هذه الحكومة لديها موقف ثابت، وواضح واحسن من كثير من الدول العربية، خاصة في القضيتين العربيتين الاساسيتين، أولاهما القضية الفلسطينية، حيث أوقفت الحكومة التركية تعاونها مع إسرائيل في أكثر من مجال، دون ان يطلب منها ذلك كما ألغت أكثر من نشاط عسكري معها دون ان تنتظر جزاءً أو شكوراً من الدول العربية.

بل كانت أول من بادر بالاحتجاج رسمياً على عمليات الاجتياح الإسرائيلي لقطاع غزة، وطالبت إسرائيل بوقف اعتداءاتها، وكان ذلك سبباً لوقف المناورات العسكرية المشتركة بينهما والتي كانت قد بدأتها الحكومات السابقة عام 1997، وكانت هذه خطوة ايجابية، كان لابد للعرب الاستفادة منها والمشاركة بدلاً عن إسرائيل، لكن الظاهر ان باكستان كانت أحوج لتطوير قدرتها العسكرية.

أما القضية الثانية، فهي احتلال العراق، فتركيا كما يعلم

الجميع، لم توافق على ان تكون قاعدة لضرب العراق، مع ان المغريات المادية التي قدمتها لها أميركا جديرة بان تركض وراءها أية دولة حتى ولو كانت عربية!، لكنها رفضت وأعلنت صراحة معارضتها لهذه الحملة الشرسة ضد الشعب العراقي، والتي بدأت بحجة تحريره وانتهت باحتلال أرضه وثرواته.

ومؤخراً اتهم رئيس لجنة حقوق الإنسان في البرلمان التركي أميركا بارتكاب مجازر جماعية وعرقية ضد الشعب العراقي، كما دعا نائب في حزب العدالة والتنمية جميع دول العالم خاصة الدول الإسلامية لاتخاذ موقف واضح وجريء ضد ما يجري في العراق.

وقد علق أحد الأصدقاء عندما قرأ هذا الكلام قائلاً: الواضح ان تركيا لم تدرك بعد ان الدول العربية ليس لديها فعل ولا حتى رد فعل!! فمواقفها مجتمعة أضعف وأقل شأناً من موقف دولة صغيرة في آسيا!!

ويتضح لي ان تركيا بمواقفها هذه أكثر عروبة من دول عربية كثيرة.

ان الحكومة التركية كانت تظن انه بتوجهاتها الجديدة سوف يفتح العالم العربي والإسلامي أبوابه لها ويستقبلها بالترحاب. لكن ظنها خاب، فركزت جهودها المتواصلة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي لدعم طلبها الذي كانت قد تقدمت به منذ حوالي 1967.

ولم تيأس رغم المعايير التعجيزية التي حددها لها الاتحاد الأوروبي لأنها تأمل وتعمل جاهدة لتحقيق ذلك وحينها قد تهرول

الدول العربية للتقرب منها لأنها بذلك تكون الوحيدة القادرة على تمثيل الوجه الحضاري للإسلام في أوروبا، وقد يكون لها صوت مسموع في الاتحاد الأوروبي الذي يسعى مع الزمن إلى تحويل قوته الاقتصادية إلى قوة سياسية موحدة، وسيكون لتركيا كلمة فيها.

أقوى الأشياء أضعفها.. وأضعفها أقواها !

الهند الدولة الديمقراطية الأولى والأكبر في العالم، قبل اسابيع وصلت هذه الديمقراطية إلى أعلى مرتبة بلا منازع عندما اختار الشعب الهندي ممثليه في البرلمان وصوت لحزب المؤتمر، الذي تترأسه امرأة من جذور ايطالية، صلتها بالهند بدأت بزواجها بحفيد جواهر لال نهرو الزعيم الهندي المعروف ورئيس وزرائها منذ استقلالها وحتى وفاته.

سونيا غاندي جاءت إلى الهند عام 1968 عندما تزوجت راجيف غاندي الذي تعرفت عليه في مطعم يوناني في كمبردج ببريطانيا عام 1965 عندما كانا يدرسان هناك، هذه المرأة التي كانت دائماً حريصة على ابعاد زوجها عن السياسة، وبعد ان لزمت العزلة بعد اغتياله لعدة سنوات.

أصبحت فيما بعد رئيسة لحزب المؤتمر ودخلت الانتخابات على هذا الأساس لتمثل اكبر حزب في هذه الدولة الكبيرة التي يصل عدد سكانها إلى حوالي مليار وسبعة وعشرين مليون نسمة (1,27) ويصل فيها عدد اللغات واللهجات إلى أكثر من 500 لغة ولهجة، واغلبية شعبها من الهندوس الذين يشكلون حوالي 81٪ ثم المسلمين 12٪، فالسيخ حوالي 2٪ وتتوزع البقية بين الديانات والمعتقدات الاخرى.

وتعد هذه هي المرة الثانية التي يفوز فيها حزب المؤتمر بقيادة امرأة في الانتخابات، حيث سبق وان تحقق له ذلك عندما كانت تتزعمه انديرا غاندي، لكن هذه المرة كان السبق لسونيا غاندي في التنازل عن رئاسة الوزراء، بعد ان صوت لحزبها حوالي 675 مليون ناخب من مختلف فئات الشعب الهندي.

هذه الدولة التي لا يتجاوز معدل دخل الفرد فيها 475 دولارا في السنة ويشكل الريف فيها 70٪ اثبتت للعالم انها دولة جديرة بالاحترام وتستحق ان يطلق عليها الدولة الأكثر ديمقراطية رغم انتشار الفقر والامية واعتماد الاغلبية فيها على الفلاحة إلا ان كل ذلك لم يقف عائقاً امامها لتحقيق الديمقراطية، والتي أصبح لها شأن كبير منذ استقلالها .

وهي تعتبر ثاني اكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان، مع ان الكثيرين لم يتوقعوا لها في ظل هذه المعطيات القابلة للفوضى، اي الاختلاف العرقي والفقر، ان تنافس الدول الكبرى، لكنها باحترامها للفكر الإنساني وعقله دون النظر إلى انتمائه العرقي

وإمكانياته المادية، تقدمت بأقصى سرعة إلى مصاف الدول الصناعية والتكنولوجية وهي بذلك تعطي درساً لجيرانها وتثبت لهم بأن الانتماءات العرقية والمذهبية لا دور لها في الهند، وشعبها يمارس الديمقراطية بحق وحقيقة مهما اختلفوا.

فرئيس وزرائها السابق كان من الهندوس الذين يمثلون الاغلبية، اما رئيس وزرائها الحالي فهو من السيخ وهم الاقلية القليلة ورئيس جمهوريتها مسلم من الاقلية، بذلك استطاع شعبها ان يخلق لنفسه توازناً سياسياً وان يعيش بحرية في ظل هذه الاختلافات العقائدية بل لا يعطيها اهمية.

والدليل انه صوت بكثافة لحزب ليبرالي ترأسه امرأة من اصل ايطالي، تنازلت بمحض ارادتها ليتم اختيار مرشح من السيخ الذين يمثلون الاقلية العرقية، دون ان يخلق ذلك اشكالية أو تصادماً فيما بينهم، لذا فان هذا الشعب يستحق الاشادة وضرب المثل في ممارسة حقوقه كاملة، حيث اثبت للعالم ان الديمقراطية لا تعترف بالجنس أو اللون أو العرق، وهكذا حتى الاقلية يمكن ان تأخذ فرصتها ويصبح لها دور في ادارة الدولة.

يقال ان غاليليو صاحب النظريات المعروفة: سأل تلاميذه من الاقوى، الفيل أم النملة؟ اجابوا دون تردد الفيل طبعا .. فقال إن اقوى الاشياء اضعفها وان اضعف الاشياء اقواها، فاستغرب التلاميذ وسألوه كيف؟ قال: فلنرم فيلاً من بناية مرتفعة ماذا سيحدث له، انه سوف يتحطم بمجرد سقوطه على الارض.

اما النملة فاذا رميناها من نفس المكان فانها سوف تتدحرج مع

الهواء إلى ان تنزل إلى الارض سالمة بذلك تكون النملة اقوى من الفيل.هكذا هي الهند قد تكون قوتها في ضعفها الذي يشكله الفقر والأمية واختلاف الأعراق والمذاهب.

بعد عام من «تحرير العراق»

بعد عام من «تحرير العراق» من حاكم مستبد أغلق عقله وفكره، ولم يترك المجال لمنفذ يتدارك به الأمر قبل فوات الأوان حتى انتهى به الحال في قبو صغير بعد ان عاش سنوات طويلة في قصور عديدة تركها للاحتلال الأجنبي .

ليستكمل رحلة البطش والدمار على الشعب العراقي وكأنه مقدر عليه ان يتخلص من حكم طاغية ليقع في جبروت محتل.

وبعد عام من احتلال العراق يتساءل البعض هل الذي حصل كان مسرحية تراجيدية بطلها صدام والممثلون مجموعة من اهل العراق ومخرجها جورج بوش ومنتجها إسرائيل والمحافظون الجدد في أميركا؟

بعد عام من «تحرير العراق» من الظلم لينعم بالحرية المزعومة

وتحريره من حكم صدام داعم الارهاب كما زعموا يسعى الاحتلال للسيطرة على ثروات العراق ويستمر في اذلال شعبه وزيادة معاناته؟

بعد عام من احتلال العراق تقتحم مساجد وتحاصر مدن بحجة إيوائها الإرهابيين الذين يقتلون جنود الاحتلال الابرياء!!

بعد عام من «تحرير العراق» لا ماء ولا كهرباء ولا خدمات إنسانية في اجزاء كبيرة من العراق!!

بعد عام من احتلال العراق يهدد المحتل الشعب العراقي ويقول له: أنتم ارهابيون وقتلة ولا بد من تأديبكم.

بعد عام من «تحرير العراق» مازال الوطن يفتقر إلى الامن والامان، والدمار لم يستثن حتى المستشفيات والمساجد!!

بعد عام من احتلال العراق اتضحت الرؤية ويقول المحتل بأعلى صوته للشعب العراقي انتم لا تستحقون الحياة.

بعد عام من «تحرير العراق» لا عمل ولا دخل ولا مأكل ولا مشرب ولا حتى المدافن متوفرة في العراق..

بعد عام من احتلال العراق وعدم وجود أي مبرر لذلك «يكتشف» الأميركان ان هذه الارض كانت ملكاً لأجدادهم، وعليهم القضاء على هذه الشرذمة التي احتلتها ولو اقتضى الامر الابادة الجماعية.

بعد عام من «تحرير العراق» لم تعد الحرية امراً ضرورياً، فسوف تعطى لمن يطيع المحتل الجائر!!

وبعد عام من احتلال العراق اوجه سؤالا إلى اعضاء مجلس الحكم في العراق أليس لكم أهل أو اقارب أو معارف في تلك المدن التي

تدمر ويقتل اطفالها ونساؤها وشيوخها أو يبعدون مضطرين من ديارهم؟ أوليس هؤلاء عراقيين؟!

بعد عام من «تحرير العراق» يصل عدد المساجين فيها إلى أكثر من عشرة آلاف سجين، اي أكثر من السجناء في عهد صدام وكلهم «ارهابيون» حسب قول المحتل!!

بعد عام من احتلال العراق يقول احد المسؤولين بأن صدام قتل الآلاف من الابرياء واذا مات أو سجن البعض في هذا العهد فانه يدفع ضريبة الحرية!.

بعد عام من «تحرير العراق» ما زال قتل الابرياء مستمرا تحت سمع وبصر الجميع وباسم ديمقراطية القرن الواحد والعشرين، القرن الذي يقال انه قرن ارقى الحضارات التي عرفها التاريخ!

بعد عام من احتلال العراق والادعاء بفتح مجال الحرية في كل وسائل الاعلام، يقول احد قادة الاحتلال ان افضل طريقة لكي لا تشاهد ما يجري في العراق هو عدم متابعة القنوات الفضائية التي تنقل صورا مشوهة وغير دقيقة لما يحدث في العراق!

بعد عام ما زلنا نتساءل أمرّ عام على «تحرير العراق» أم على احتلاله؟

لا شك ان صدام كان دكتاتوراً والتخلص منه كان مصدر ارتياح للجميع، لكن اين هي المبررات التي قام بسببها التحالف والتي تم على اثرها احتلال العراق والتي ذكرت رسميا وهي كالتالي:

صدام كان يمتلك اسلحة الدمار الشامل.

صدام وحكومته كانوا يدعمون الارهاب.

صدام وحكومته يشكلون خطرا على أميركا والعالم الحر.

صدام كان دكتاتورا يعذب شعبه ويعتدي على جيرانه.

والى الآن لم يستطيعوا ان يثبتوا الاسباب الثلاثة الاولى، وهذا باعترافهم ولم يبق إلا سبب واحد والكل يقر به.

لكن ألم يؤسر صدام وذهب اولاده واحفاده وانصاره قتلا أو ابعادا ونهايته كانت مثل نهاية اي دكتاتور أو أشد؟

هل على الشعب العراقي ان يدفع فاتورة عدم استطاعتهم اثبات الاتهامات الباقية؟

وهل على العراقيين ان يتحملوا بعد كل ما عانوا دكتاتورية الاحتلال العسكري؟

بعد عام من «تحرير العراق» إلى اجل غير مسمى وعلى تحريره من طاغية ليحل محله مجموعة من امثاله لكنهم غرباء يطلق عليهم المحافظون الجدد هدفهم السيطرة على العراق والبطش بشعبه تحت اعين العالم وصمت ولا مبالاة الحكومات العربية.

أخيراً بعد عام من «تحرير» أو احتلال العراق، العرب صامتون والشعب العراقي صامد والله معه.

غالاوي .. العربي

جورج غالاوي النائب في مجلس العموم البريطاني عن حزب العمال سابقاً، وعن حزب شكله تحت اسم »الاحترام« حاليا، متحديا بذلك رئيس الوزراء البريطاني وحزب العمال، تردد اسمه بكثرة خلال السنوات الماضية في وسائل الاعلام العالمية والعربية، والسبب موقفه الثابت من القضايا العربية ودفاعه، عنها وبالذات عن فلسطين والعراق.

حاولت بعض الأجهزة الحكومية والإعلامية في أميركا وبريطانيا تلويث سمعته واتهامه بالعمالة للنظام العراقي السابق والربط بينه وبين صدام حسين وبرنامج النفط مقابل الغذاء.

هذا الرجل الشجاع أخذ على عاتقه الدفاع عن القضايا العربية

أكثر من أي مسؤول أو مثقف عربي. تحمل كل الاهانات والاتهامات الكاذبة، وبقي مدافعا صامدا مؤمناً بآرائه دون ان يطلب من العرب ولو كلمة شكر، ودون ان يتبرع أي مسؤول عربي ولو بالإشادة به، وبمواقفه المناصرة للقضايا العربية، أصبح في نظر الملايين بطلاً قوميا أكثر عروبة من العرب.

هذا البطل المتوج بمواقفه الصادقة تحدى الحكومة والكونغرس الأميركيين وذهب إليهم ليرد على ادعاءاتهم في عقر دارهم، وليرد إليهم الصاع صاعين، ويواجههم بأدلة قاطعة أثناء ادلائه بشهادته أمام لجنة خاصة في مجلس الشيوخ الأميركي. وبقوة وثقة رد غالاوي على المزاعم الموجهة إليه، وبين للعالم أنه أقوى وأشرف حتى من الحكومة الأميركية التي أصبحت سقطاتها متتالية بفعل سياساتها وأفعالها التضليلية.

ولقد بثت وسائل الإعلام الأميركية والبريطانية هذا التحدي مباشرة على الهواء، وتابعت شخصياً هذه المواجهة في قناة (BBC) ، وأعجبت بشخصية هذا الرجل وهو يتحدث كأسد قوي يتحدى مجموعة من الصيادين الهواة الذين لم يستوعبوا قدر قوته، وكم تمنيت ان يكون هذا الرجل عربياً.

أحسست وهو يتحدث أنه يحمل في قلبه وعقله صوت كل عربي غير قادر على التعبير عن رأيه، فبدلاً من أن يحاكم كمتهم بادعاءات باطلة، نجح بصلابته ومواقفه الثابتة في قلب الطاولة عليهم، وقال نعم التقيت صدام حسين مرتين كما فعل وزير دفاعكم «رامسفيلد» لكن الأسباب مختلفة، فأنا ذهبت إليه لأقول

له الحقيقة وأواجهه بأخطائه التي ارتكبها في حق شعبه، واطلب منه أن يسمح بعودة مفتشي الأسلحة، ويوقف معاناة شعبه. أما وزير دفاعكم فذهب إليه ليبيع له الأسلحة وليساعده في الاعتداء على الآخرين.

كان غالاوي يدافع عن الحق، فيما هم يدافعون عن الباطل، لذا فهو معتز بمبادئه التي لا تشترى بالمال أو بأية إغراءات سياسية أو اعتبارية. وهو أيضاً يواجه بالحرب من كل الجهات الداعية إلى الديمقراطية بالأقوال والمستبدة بالأفعال. حورب غالاوي من قبل السلطات البريطانية، حيث أجبر على ترك حزب العمال، ومع ذلك صمد، وثبت على آرائه ودافع عن مبادئه، وتبرع بالدفاع عن القضايا العربية أكثر من عرب ومسلمين كثيرين. وعبر غالاوي بصوته عن معاناة الشعوب العربية المغلوبة على أمرها.

إن الفضائيات العربية وما أكثرها لم تكلف نفسها - إلا عدد قليل منها تلفزيون دبي - الإشارة إلى قضية غالاوي أو إجراء مقابلة معه، مع أنها تنفق الملايين لإجراء حوارات في قضايا هامشية وأحياناً تافهة. قضايا أصبح الجميع يعرف أنها تبث ويُطبل لها بناء على أوامر عليا! وهذا ما قاله بصراحة شخصية عربية مرموقة في إحدى الفضائيات العربية.

ثم جاء ظهور المدافع الغربي عن القضايا العربية، ولو لرفع معنويات الشعوب العربية التي تدمي الأخبار قلوبها منذ سنين من فلسطين إلى العراق، ظهر جورج غالاوي عبر برنامج «بلا حدود» في قناة «الجزيرة» مع أحمد منصور، وما قاله غالاوي في

هذه المقابلة خير دليل على أن العرب لا يعرفون كيف يبنون علاقاتهم الدولية.

ولا يتعلمون من تجاربهم السيئة في العلاقات الدولية، فهم يذهبون في زيارات خارجية ليسمعوا ما يطلب منهم وليس العكس. فشكراً لهذا الرجل الذي كان حقاً رجلاً من أمة العرب التي انقرضت.

تركيا من العثمانيين إلى أردوغان

في ديسمبر 2002 كتبت مقالاً في جريدة البيان عن تركيا تحت عنوان «أين نحن من أردوغان»، أما اليوم فأكتب عن تركيا الدولة الإسلامية التي تمر بأهم مراحل تاريخها منذ حكم السلاطين فيها وتمردها على انتمائها الإسلامي الشرقي وتحويلها إلى دولة علمانية ذات ميول غربية.

وفي ظل كل هذا ضاعت هويتها، ولم يتحقق طموح حكامها في الحصول على الهوية الجديدة، حيث حاولت الحكومات المتعاقبة على الحكم منذ انقلاب أتاتورك، وبمساعدة الجيش طمس ثقافتها الشرقية، وبدأتها بتغيير الحروف الأبجدية من عربية إلى لاتينية.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل لم يستطع الشعب ممارسة حتى أبسط حقوقه الديمقراطية باختيار ممثليه، حيث ان الجيش المؤمن بالعقيدة الأتاتوركية كان يسيطر على كل شيء، ولم يسمح بذلك، لذا حصلت انقلابات متتالية. وآخرها كان ضد حكومة نجم الدين أربكان زعيم حزب الرفاة الذي فاز برئاسة الحكومة، ثم منع من دخول أي انتخابات بضغوط من الجيش المصر على تحقيق مبادئه الاتاتوركية والتي تتمثل في جعل تركيا دولة أوروبية.

ورغم إصرارهم هذا ما زالت أوروبا تنظر إليهم نظرة شك وريبة، إضافة إلى ان الحكومات السابقة مارست الدكتاتورية بشكل أو بآخر وهذا يخالف أفكار ومبادئ الحرية التي تنادي بها أوروبا بمختلف توجهاتها. وعلى أثر استبعاد حزب «الرفاه» قامت مجموعة من الشباب المنبثقين عنه بتشكيل حزب جديد تحت اسم «العدالة والتنمية» وفاز في آخر انتخابات ديمقراطية برئاسة رجب طيب اردوغان بأغلبية مطلقة. وتحاول هذه الحكومة ذات التوجه الإسلامي جاهدة للانضمام إلى الاتحاد الاوروبي بعد أن جاءت إلى الحكم باختيار شعبي ديمقراطي.

وكان من ضمن اولوياتها العمل من أجل الدخول في مفاوضات مع الاتحاد الأوروبي دون المساس بتوجهها وثقافتها الإسلامية، إلا ان بعض الدول داخله ما زالت تعارض انضمام تركيا، مع أنها أكبر من اليونان وأقرب من قبرص إلى أوروبا. ورغم وجود هذه العقبات فهي مصرة على تجاوزها، إذ أن

تحفظات بعض الدول الأوروبية قد لا تكون لسبب إلا لأن تركيا دولة إسلامية.

وبهذا الإصرار والإرادة التركية في المضي قدماً في محاولاتها رغم المعايير المبالغ فيها والتي طلبت منها، سوف يرضخ الاتحاد الأوروبي ويقبل بانضمامها ولو بعد حين، نظراً لأهميتها وثقلها السياسي والاقتصادي والأمني بالنسبة لأوروبا.

قبل أسابيع قام رئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان بزيارة رسمية إلى الإمارات العربية المتحدة، وتعتبر هذه الزيارة الثانية له حيث يسعى منذ توليه الحكم للتقرب إلى الدول العربية لتبادل وجهات النظر، وطرح مواقف بلاده، وهو يرى أن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي سيكون من شأنه تحقيق مكانة نوعية للدول الإسلامية.

وقد ثمن قادة الإمارات هذه الزيارة، وبادر الفريق أول سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي وزير الدفاع برد الزيارة إلى اسطنبول بوابة الشرق إلى أوروبا، لتكون تأكيداً على علاقات أخوية بين البلدين، وعلى سعي الإمارات الدائم لتوسيع علاقاتها الدولية، خاصة مع الدول الإسلامية.

وتركيا هي اكبر بوابة إسلامية بين الشرق والغرب ويحكمها حاليا حزب واضح الرؤى ذو توجه إسلامي هدفه تحقيق انتمائه إلى أوروبا مع المحافظة على هويته الإسلامية الشرقية ليلعب دوراً أكبر على الساحة الدولية يخدم من خلاله مصالح تركيا والدول الإسلامية.

والأتراك يتوقعون من زيارة الفريق أول سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم التي التقى خلالها برئيس وزراء تركيا وكبار المسؤولين بداية تعاون اقتصادي يخدم مصالح الشعبين، وتعاون خليجي تركي يكون نقطة انطلاق للتكامل والتحالف العربي التركي في عصر لا يعترف إلا بالتكتلات الكبرى، التي قد تعيد لنا قوة وعزة المسلمين.

الإصلاح التائه في العالم العربي

الإصلاح كلمة تتردد كثيراً هذه الأيام، وبشكل غير طبيعي. ولقد كثر الدعاة إلى الإصلاح، وأصبح الكل يفهم فيه، ويعتقد انه من المصلحين، ويطالب به في كل موقع وفي كل مجال. أما الشعوب العربية فتتساءل عن طبيعة الإصلاح المطلوب؟ فإلى الآن لم تقم أية جهة رسمية بأي استبيانات شعبية أو دراسات علمية تحدد نوعية الإصلاح المنشود.

المعروف ان الإصلاح المطلوب بالدرجة الأولى هو الإصلاح السياسي، ويعني فتح المجال للرأي الآخر ولحرية التعبير والمشاركة التي تلاشت مع الزمن، وانقرضت في أغلب الدول العربية منذ خروج الاستعمار، فالحكومات المتعاقبة تجاهلت هذه الحقوق، حتى

ان البعض بدأ يردد أن الشعوب العربية تحت الاستعمار كانت أكثر جرأة في المناداة بحقوقها وحرياتها.

لقد كان الاعتقاد انه بخروج المستعمر فإن الوطن العربي سوف يشهد إصلاحات في معظم القطاعات، وفي شتى المجالات، أولها أسلوب الحكم، وحرية الرأي والفكر، فقد كان التصور ان الاستعمار هو السبب في كبت الأصوات، والضغط على القادة، ومن أجل ذلك ضحت الشعوب وقاومت الاستعمار إلى ان اجبرته على الانسحاب، ولكن بمرور الزمن تبين لبعض الشعوب ان حكوماتها أسوأ من الاستعمار.

ان احتمالية تطبيق الإصلاح بمفهومه الاساسي الشامل تظل صعبة في ظل سقف الحرية الذي يتمتع به الإنسان العربي، والذي لا يتعدى في بعض الدول اختيار المأكل والملبس، فهو لا يجرؤ على ابداء رأيه خوفاً من ان تسحب منه حتى هذه الحقوق! أو من ان ينتهي به الأمر مسجوناً أو منفياً!

فكيف له ان يحلم بيوم يستطيع فيه المشاركة في ادارة وطنه؟ وهذا هو الحال في بعض البلدان في ظل انتشار الأمية، وانتهاكات حقوق الإنسان، اللهم إلا شعوب بعض الدول التي تحاول جاهدة معالجة بعض القصور المتراكم منذ خروج الاستعمار.

وفي حوار مع مجموعة من المغتربين العرب في احدى المدن الأوروبية، دار الحديث حول الإصلاح ومدى ارتباطه بالفساد السياسي والاداري، وشخصياً أعجبت برأي كاتب وأستاذ عربي في احدى الجامعات الأوروبية، حين ربط بين الفساد الحكومي والنفاق،

وقال: ان الإصلاح لا يمكن ان يأتي في ظل النفاق المنتشر، لكن رغم ذلك فهو قادم لا محالة، ومن الداخل، وليس كما يخطط له، وعلى الدول العربية إدراك ذلك، والاستفادة من الوقت ليحسب لها ذلك في تاريخها.

وتابع قائلاً: ان كثيراً من الدول العربية تمتلك «كفاءات» متخصصة في المبالغة والمدح والنفاق للتقرب من القادة، وفي الوقت ذاته تتجاهل الفساد المنتشر حتى داخل العقول، وهذا ما يجعل الكثيرين دائماً في حالة من عدم الاستقرار، ومن هنا تأتي معارضة هذه «الكفاءات» للإصلاح والتغيير خوفاً من ان يكونوا أول الراحلين، فهؤلاء لا يخجلون رغم نفاقهم ومدحهم للمسؤولين في دولهم أن يركبوا موجة الدعوة إلى الإصلاح ولا يخجلون من توجيه النقد إلى دول عربية ربما ليست اسوأ منهم.

وأضاف الاستاذ العربي ان «هذا ما استنتجه من آراء مجموعة من المثقفين التقاهم في مناسبات مختلفة في بعض الدول العربية».

وأضاف ان النفاق عادة وجدت مع الإنسان عبر الزمان، وفي كل مكان وقد عرفت مجتمعات الشرق والغرب على حد سواء النفاق السياسي، حيث كان منتشراً في أوروبا وآسيا، خاصة في بلاط السلاطين، وفي العصور الماضية كان هناك شعراء مختصون في النفاق وكانوا يمثلون الطبقة المثقفة آنذاك، لكن مع مرور الزمن وظهور الديمقراطية واختيار الحكومات بانتخابات شعبية تلاشت هذه الظاهرة، خاصة في أوروبا، لكنها استمرت في بعض دول العالم الثالث وبالذات في الدول العربية.

حيث انتشر النفاق السياسي، وأصبح يمارس بشكل أوسع حسب ما تقتضيه الحاجة والضرورة، ولم يقتصر على شعراء السلطة كما كان الحال في القرون الماضية بل توسع وشمل فئات اخرى، ومع ظهور القنوات الفضائية أصبحت الحكومية منها منبراً لهذه الفئات التي وجدت ضالتها في التطبيل والمدح والتملق، وتحول الكثيرون إلى وجوه اعلامية متخصصة في النفاق السياسي الذي تطور إلى فساد بكل الأنواع!

هكذا يعيش عالمنا العربي في عصر الديمقراطية والشفافية والعولمة والتكنولوجيا!!

وهكذا أصبحت الشعوب العربية في حالة من الضياع وعدم الاستقرار، وغير قادرة على معرفة درجات الصدق ودرجات المبالغة في الدعوة إلى الإصلاح لانها تعيش في عالم غارق في النفاق والفساد والتغطية على حالات الضعف التي أصبحت عليه، وتقارن الشعوب كل هذا بما يجري في الدول المتقدمة من نقد ومحاسبة للمسؤولين، فكيف لها ان تحلم بالتعبير عن ارادتها في عالم تعيش فيه مهمشة مقيدة لا رأي لها.

إن هذا الشعور بحد ذاته يحتاج إلى جهد كبير وسنين لمعالجته.. وإصلاحه.

سيدي الرئيس سوف تفقد وظيفتك

وردتني مجموعة من الرسائل عبر البريد الالكتروني حول مواضيع نشرتها في «استراحة البيان» تعبر عن هموم وطننا الكبير، والحالة التي وصلت اليها امتنا، حيث وصفها أحدهم في رسالته قائلاً: إن الأمة العربية تعاني من مرض خبيث لا شفاء منه.

اما آخر فلقد أضاف إلى توقعاتي التي كتبتها عن كذبة ابريل فقرة عن الرؤساء العرب المحبوبين جداً لدى شعوبهم حسب قوله، والمتمسكين بكراسي الحكم كأنهم مُلاّك بالوراثة، ولا يقصد هنا الوراثة عن الاجداد، وانما وراثة «كرسي من عند ربنا» كما يقول!!

ورسالة أخرى تقول: بعد الغاء مؤتمر القمة العربية في تونس ظهرت مجموعة من المحللين والخبراء السياسيين العرب المتخصصين في شؤون السياسة العربية والدولية، كما يصفهم مقدمو القنوات الفضائية، الكل يبدي رأيه بحرية ويعارض ويحتج لكن عندما يصل الموضوع إلى مسؤولية الدولة التي ينتمي اليها، هنا ينزعج ويصرخ بأعلى صوته ليقول ان رئيس دولته هو الوحيد الصادق المخلص، القومي، الوطني العربي الشهم.

وهنا ينقلب البرنامج من تحليلي محايد ليتبارى فيه الاثنان كل يحاول جاهدا مدح سياسة دولته وموقف رئيسه وما علينا نحن امة العرب إلا ان نتفرج كما يقول المثل المصري «زي الأطرش في الزفة» ويتساءل في ختام رسالته، هل هذا مبعثه الخوف من قول الحقيقة أم ولادة فطرية وانتماء عاطفي لدى الشعوب العربية وإحساسهم بأن حكوماتهم وقادتهم معصومون عن الخطأ، ويضيف انه حتى يومنا هذا ومع كل هذه التحليلات والحوارات، والمناقشات ما زلنا نحن البسطاء من عامة الناس لم نفهم لماذا وكيف تم إلغاء قمة تونس، مع ان الشعوب العربية لم تشعر في يوم من الأيام بأهمية الجامعة العربية ودورها في قضايانا المصيرية لأن أصحاب القرار حريصون على كراسيهم أكثر من قضايا أمتهم!!

ورسالة أخرى تقول ماذا نتوقع ممن يكتشف أخطاءه بعد حوالي نصف قرن وبعد ان دفع شعب بأكمله نتيجة هذا

الخطأ واعترف للعالم الخارجي ولم يمتلك الشجاعة ليعترف ويعتذر لشعبه.

وهو متمسك بكرسيه خوفا من المحاسبة ليس إلا ! وآخر تقدم إلى الصف الأمامي فوق أكتاف أستاذه ومعلمه وقد اعترف بذلك في بداية حياته لكنه لما تمكن أصبح يقول عنه ما لم يقله مالك في الخمر!

وغيرهم الكثير، وآخرهم صدام الذي أوصل نفسه في آخر حياته إلى مكانة لا تليق بأرذل إنسان! هذه بعض الآراء كما وردتني وذكرتني بإحدى المقابلات التلفزيونية للرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر عندما كان رئيساً للولايات المتحدة الأميركية وكان المذيع يناديه باسمه «جيمي»، هكذا بكل بساطة وبدون ألقاب، وأصبح جيمي بعد ذلك ممثلا خاصا لعدد من رؤساء أميركا دون ان يشعر بأي خجل لانه في النهاية يعتبر نفسه واحدا من أبناء الشعب ليس إلا.

مقابل ذلك تابعت مقابلة لسفير عربي في إحدى القنوات الأميركية، ولقد ثار عندما نطق المذيع اسم رئيس دولته دون لقب، وقال بتوتر عليك ان تذكر الرئيس بسيادته أولا وإلا انسحبت من المقابلة! وقبل أسابيع في مؤتمر صحفي للرئيس الأميركي جورج بوش سأله احد الصحفيين عن الأوضاع في العراق ومدى تأثيرها على الانتخابات المقبلة فقال:

سيدي الرئيس ألا تعتقد انك بذلك قد تفقد وظيفتك، اي ان الرئيس موظف عند الشعب، فهل يستطيع صحفي مهما علا

شأنه ان يخاطب احد الرؤساء في الدول العربية هكذا؟!

مع ذلك ما زلنا نحلم برئيس يفاجئنا ويفاجئ العالم بإطلاق مبادرة كريمة وشجاعة ويتخذ قراراً لا يسمح بتجديد ولايته سوى مرتين ليكون قدوة للآخرين!

الخطأ فينا أم فيهم ؟

خلال الاجازة الصيفية، ذهبت في رحلة بالقطار من لندن إلى باريس. وجلس بجانبي خلالها رجل يبدو في الثلاثين من عمره، عرفت فيما بعد انه فرنسي، وأنا أقرأ بعض الجرائد العربية بادرني بالسؤال بطريقة مهذبة ولطيفة وبلكنة فرنسية: عفواً على المقاطعة، هل أنت عربي؟ قلت: نعم.

عرّفني بنفسه ثم قال: لديّ أصدقاء عرب ومسلمون من ذوي الجنسية الفرنسية وهم أناس مسالمون وطيبون جداً وارتاح معهم على غير الصورة التي تنقل إلينا عن العرب والمسلمين في فلسطين، فهم أشرار وإرهابيون يقتلون أطفالاً و«أبرياء» من الإسرائيليين، وأنا أستغرب دائماً لماذا العرب هناك يقتلون «الأبرياء» الإسرائيليين؟

قلت: هل أكملت كلامك حتى أشرح لك وجهة نظري؟ فقال: تفضل.
قلت: انكم أيها الفرنسيون، والغرب بشكل عام متأثرون بالإعلام الذي تسيطر عليه الصهيونية التي لا تعترف بحقوق الآخرين ولا بالتسامح، إنما تقدم لكم أفكاراً وأخباراً تخدم قضيتها القائمة أصلاً على تشريد شعب بأكمله وسلب حريته، وأنتم لا تحاولون حتى معرفة جذور هذا الصراع والدخول في التفاصيل لتتأكدوا من الحقائق، والإعلام الصهيوني المسيطر على ثقافتكم عامة، هدفه تشويه الحقائق وعدم اتاحة الفرصة لظهور أي مخالف.

قال: مع انني لا أوافقك الرأي، فالإعلام عندنا لا يخضع لأي سلطة، ويتمتع بحيز من الحيادية والموضوعية، ولأني متعاطف مع العرب بشكل عام، يستفزني ما يحصل هناك، خاصة وان الصور المنقولة إلينا كمشاهدين تستجدي التعاطف مع الإسرائيليين أكثر منه مع الفلسطينيين. لأنه كما تقول: الإعلام العالمي مسيّر بواسطة هؤلاء، وبالتالي هم يتحكمون بعقول الأغلبية من عامة الشعب منذ أكثر من قرن، لكن اسمح لي إذا كنتم واعين لهذا، فأين دوركم أنتم يا عرب؟ فأنتم كما يعرف الجميع أكثر من عشرين دولة وتساندكم كذلك الدول الإسلامية، وتملكون ثروات هائلة، وعندكم عدد لا بأس به من المثقفين الناطقين باللغتين الانجليزية والفرنسية، واليهود من حيث العدد ومن حيث الدولة لا يشكلون حتى 5٪ منكم، وإذا أضفنا إليكم الدول الإسلامية قد يصبحون أقل من 1٪ وتقول إن هؤلاء مسيطرون على عقولنا؟!!

هكذا انتهى الحديث مع الرجل بوصولنا إلى باريس.

سألت نفسي: هل الخطأ فينا أم فيهم؟! وتذكرت برنامجاً بثته قناة «الجزيرة».. هذه القناة التي تحاول فتح نافذة في عقولنا نحن الشعوب العربية، لكني لا أظنها فتحت ولو «ثقباً» بسيطاً في عقول المسؤولين العرب، كان البرنامج حول حوار الأديان والاعتذار المعلق للمسلمين، واستضاف ثلاثة مفكرين من بينهم الاستاذ فهمي هويدي والدكتور شفيق أبوزيد رئيس مركز رام الله لدراسة الحضارات السامية. ومن خلال مشاركته أكد أن اليهود استطاعوا أن يشكلوا قوة في العالم، وبذلك هم يسيطرون بإمكانياتهم ويتدخلون في كل شيء، حتى أن لهم نفوذاً داخل الفاتيكان، وخطأ المسلمين والعرب أنهم لا يعرفون كيف يقيمون العلاقات مع الآخر.

وكان مجمل ما تناوله ضيوف البرنامج هو الدور الذي يجب أن يجتهد من أجله المسلمون والعرب لإقامة علاقات مع الفاتيكان ومع الغرب عامة. فالحالة التي تنطبق على المجتمعات العربية سياسياً واقتصادياً وإعلامياً هي عدم التفاعل مع أي شيء وفي أي وقت.

وآخر الأخبار التي شغلت الإعلام العربي هي إضراب الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال عن الطعام، هؤلاء الأبطال الذين سلب الاحتلال الظالم حريتهم ويحاول سلب كرامتهم، لكنهم أطلقوا شعار «الجوع لا الركوع»، بهذا الشعار دخل هؤلاء الأسرى في معركة مع الحكومة الإسرائيلية الأكثر إرهاباً في تاريخ الإنسانية.

وسؤالي هو: أين كانت المنظمات الحقوقية العربية؟ أين كانت المنظمات الأهلية في الوطن العربي؟ أين كانت جمعيات النفع العام؟ أين كان المثقفون العرب؟ بل أين كانت الشعوب العربية من كل هذا؟

ألم يكن في استطاعة هذه المنظمات القيام ولو بحملة مساندة سلمية لهؤلاء الأسرى وللشعب الفلسطيني، كالاضراب عن الطعام ولو ليوم واحد تضامناً معهم؟

إن جمعيات النفع العام في الدول العربية، وما أكثرها، لم تبادر ولو بموقف قوي وواضح لإشعار العالم بأننا مع اخواننا وبأهمية قضيتهم.. ألم يكن ذلك ليخفف من عبء الظلم الواقع عليهم ولو شكلياً؟! إن مثل هذه المبادرات هي التي تحرك العالم ولا تستطيع أي قوة داخلية أو خارجية منعها، وبكل تأكيد كان الشعب العربي كله سوف يهب لتلبية هذا النداء، وقد يقوم المسلمون في جميع أنحاء العالم، حتى الشعوب الحرة بالتضامن معهم، وحينها لا يمكن لأي توجه سياسي أن يقول بأن ذلك إرهاب!!

لو حدث مثل هذا أو أقل منه في إسرائيل، ماذا كان يمكن وكيف كان العالم سيتفاعل معهم؟ فالمجتمع الإسرائيلي يعرف تماماً ان وراءه قوة تخدم مصالحه وتلتزم بالدفاع عن حقوقه وتؤمن بالفعل وردة الفعل في جميع الأوقات وتتحرك في كل الاتجاهات، وبهذا كسبت وتكسب معركة تلو الأخرى.

فإذا كان مثل هذا الوضع لم يؤثر حتى داخل مجتمعاتنا.. كيف لنا أن ننتظر من العالم التعاطف معنا والتحرك لصالحنا؟ فنحن ما زلنا نفتقر حتى إلى التضامن السلمي.إذن، بكل تأكيد الخطأ فينا، فمتى يتعلم العرب؟!

الباب
الرابع

أوراق المسافر

عروس البحر ومدينة «إيفان الرهيب»

إذا كانت مدينتا لندن وباريس من أكثر المدن شهرة، فإن مدناً عربية كدمشق من أقدمها في التاريخ، والقاهرة التي أطلق عليها أحد المؤرخين الانجليز (Mother of The World)، وبتعبير مصري عربي «أم الدنيا» والمصريون عندما يقولون مصر، فهم يعنون القاهرة، أما أحدث المدن العربية وأكثرها شهرة خلال السنوات الماضية بلا منازع فهي مدينة دبي، ملاذ السائحين من كل أنحاء العالم، لها تسميات كثيرة، من أشهرها «دانة الدنيا»، «لؤلؤة الخليج».

مؤخراً زرت مدينتين وأردت أن أشارك القراء انطباعاتي عنهما، زيارتي الأولى كانت لمدينة عربية خليجية. مدينة تشعرك براحة نفسية، وتدخل في نفسك البهجة والسرور بمجرد أن تطأ قدماك

أرضها، هي مدينة «جدة» التي يطلق عليها عروس البحر الأحمر حيث تمتد شواطئها حوالي 80 كيلومتراً على البحر الأحمر، كما تمتلك إمكانيات سياحية مميزة كفنادقها الفخمة، ومراكزها التجارية الراقية التي تجمع بين الفن المعماري الحديث والتراث السعودي، أما محلاتها فإنها تضاهي المحلات العالمية.

وهذا ما تسنى لي مشاهدته لأن زيارتي لها كانت قصيرة.جدة المدينة الثانية في المملكة العربية السعودية من حيث المساحة وعدد السكان، وفي نظري هي من أجمل مدن المملكة وتتميز بقربها من الأراضي المقدسة، يعتقد الكثيرون أن مدينة جدة تحمل هذا الاسم نسبة إلى جدتنا «حواء» نتيجة وجود قبر تاريخي لا يعرف حتى الآن من المدفون فيه.

لكن اتضح لي من وثائق رسمية أن تاريخها يعود إلى حوالي 3 آلاف سنة عندما أنشأها مجموعة من الصيادين، ثم جاءت إليها قبيلة «قضاعة» قبل أكثر من 2500 سنة ويقال انه أطلق عليها اسم أحد أبناء هذه القبيلة وهو «جدة بن جرم بن ريان بن قضاعة» ويعود نسبهم إلى الجد التاسع عشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا تقول الوثائق الصادرة من الجهات الرسمية في المملكة.

وفي اعتقادي أن هذه المدينة الجميلة التي لا تخفى إمكانياتها على أحد حتى لو زارها لفترة قصيرة، لم تأخذ إلى الآن حقها من الترويج السياحي والتسويق والإعلان عنها، على الأقل في الدول العربية، أو حتى في دول مجلس التعاون، خاصة وأننا نعيش في عصر يعتمد على السياحة كداعم أساسي للاقتصاد الوطني.

فهناك الآلاف من السائحين العرب بمن فيهم السعوديون يسافرون إلى الخارج لقضاء عطلاتهم، فلماذا لا يكون لمدينة جدة نصيب منها؟ ألا تستحق هذه المدينة أن تأخذ مكانها في سوق السياحة؟ أما المدينة الثانية التي زرتها أخيراً فهي موسكو، المدينة العريقة، المدينة التي كانت في يوم من الأيام تهز العالم برأيها عندما تطرح قضايا مصيرية شرقاً كانت أم غرباً، مدينة كانت ملجأ لكل أبناء الشعوب الفقيرة في آسيا وأفريقيا وحتى أوروبا، كانت عاصمة لدولة كانت لها كلمة مسموعة، وتقاسمت قيادة العالم مع الولايات المتحدة. كانت جنة للفقراء والمساكين، وحلم كل إنسان لزيارتها أو الإقامة فيها، واكتشفت في زيارتي لها أنها مدينة كمدن العالم الثالث، باستثناء طبيعتها، فالغابات والأشجار المحيطة بها، وجوها المعتدل في الصيف تميزها، موسكو مازالت تعيش على صيت الماضي الذي رسخه الحزب الشيوعي، أما حياة مواطنيها اليومية فهي عادية جداً، أصبح كل ما لديهم من وسائل الراحة مستورداً من الخارج، وبالذات من الدول الغربية، فمثلاً فيها أقدم مركز تسوق تجاري في أوروبا كما يقال، والذي بناه أحد القياصرة وهو القيصر «ايفان الرهيب» وهو معلم تاريخي في المدينة لكن كل البضائع الموجودة فيه مستوردة من أوروبا وأميركا واليابان، أما البضائع الروسية فلا وجود لها.

وقد حاولنا إيجاد هدايا مصنوعة محلياً فلم نوفق، والسؤال الذي لم نحصل له على إجابة هو كيف وماذا كان يستخدم النظام السابق؟

حتى أضخم الفنادق، فلقد بنيت حديثاً، أما التكنولوجيا المستخدمة بشكل يومي فاعتمادها الكلي على المستورد حتى الحكومية منها

عندما سألت أحد المرافقين عن التكنولوجيا الروسية التي كانت أول من وصل إلى الفضاء كان رده: روسيا أثناء الحكم الشيوعي تقدمت في المجال العسكري وسباق الفضاء لتنافس الغرب وبالذات الولايات المتحدة الأميركية، لكن المسؤولين آنذاك نسوا متطلبات الحياة اليومية للشعب، حيث كانوا يظنون أن تلك كماليات تعتبر ترفاً لا داعي له، فسألته لقد مضت الآن سنوات على القضاء على الحكم الشيوعي فماذا فعلتم؟ سكت: ثم قال نحتاج لعشر سنوات أخرى لنبدأ من جديد، وأعتقد أن الشعب الروسي إذا انطلق سوف يبدع في الفنون والتكنولوجيا، وأستطيع أن أقول إننا قد نلحق بالغرب بسرعة، لأن الشعب الروسي له إمكانيات ذهنية وعقلية أكثر من إمكانيات كل الشعوب الغربية، لكن مع الأسف في الوقت الحاضر يستغل ذلك من قبل أميركا فالعلماء يهاجرون إلى أميركا التي توفر لهم فرصاً أفضل للحياة، وقد يدركون بعد وقت أن وطنهم أولى وأكثر أماناً كما فعل الصينيون من قبل.وأجمل ما شاهدت في موسكو هو الكرملين مقر الحكومات السابقة والحالية، زرنا متحفه، وبه الصور الزيتية والمجوهرات الأغلى في العالم، وهو بالفعل أغنى متحف في العالم.

زواره من أهالي موسكو وروسيا بشكل عام أكثر من الأجانب، تقطن روسيا جنسيات مختلفة وأغلبها يعيش في موسكو الذي وصل عدد سكانها إلى أحد عشر مليون نسمة إضافة إلى حوالي أربعة ملايين زائر يومياً، وخلال السنوات العشر الماضية ازداد عدد السيارات فيها ليصل إلى ثلاثة ملايين سيارة مع أن ضريبة استعمالها مرتفعة.

موسكو لوحدها تعيش على أرضها 147 جنسية مختلفة وبها 41 طائفة دينية ومذهبية ولم تشهد عبر التاريخ أي نزاع قومي أو مذهبي هكذا يقول المسؤولون فيها، بها حوالي 100 مدرسة لتعليم اللغات القومية المختلفة.لكن لا تستخدم في روسيا، إلا اللغة الروسية في جميع المدارس كما ما زالت تستخدمها شعوب بعض الدول التي كانت تابعة للاتحاد السوفييتي.

قلت لأحد المسؤولين مازحاً: عندما كان العرب في عز قوتهم وتقدمهم العلمي في ظل الدولة الإسلامية كانت كتبهم تترجم إلى لغات مختلفة ليستفيد منها العلماء في الغرب لكنهم رغم التقدم الذي وصلتم إليه إلا أن لغتكم لم تنتشر عالمياً وسط هيمنة اللغة الانجليزية فإذا أردتم مجاراة هذا العصر الذي لا يعترف إلا باللغة الانجليزية عليكم أن تستخدموها بجانب لغتكم.وأغرب ما شاهدت في موسكو وجود شارع جانبي سريع للمسؤولين لتخطي كل الإشارات المرورية، وهذا الجزء من بقايا النظام الشيوعي كان يستخدمه كبار المسؤولين ومازالوا!.

أميركا والعرب.. علاقات شدّ وجذب

في لقاء من اللقاءات المتواصلة مع مجموعة من الأصدقاء الأميركيين من ذوي الأصول العربية، دار النقاش حول العلاقات العربية ـ الأميركية والتدهور الذي وصلت إليه في السنوات الأخيرة، وفي رأيي أن هذا الموضوع يطغى على جميع اللقاءات بين الأصدقاء في جميع الدول العربية! كان الحديث عن الموقف العام بين أوساط الشعوب العربية من الحكومات الأميركية تجاه القضايا العربية في العقدين الماضيين وتصاعدها من سيئ لأسوأ.

قال أحدهم: لا شك أن هناك نسبة كبيرة من الشعوب العربية تُكنّ تقديراً واحتراماً للشعب الأميركي، خاصة وأن كثيراً من

أبنائها درسوا وتخرّجوا في الجامعات الأميركية وكوّنوا علاقات قوية مع عائلات أميركية، هذا إلى جانب أن أميركا لم تكن من الدول الاستعمارية، بل كانت هي في الأساس مُستعمَرة. وفي ظل أول دستور لها بعد الاستقلال نادت بالحرية للشعوب المستعمَرة في كل بقاع العالم.

وما دخولها في الحرب العالمية الثانية مع دول التحالف ضد حكومة هتلر النازية، إلا رغبة منها في أن ترى شعوب العالم حرة، أما فيما يتعلق بحرية الشعوب العربية فإن موقف الرئيس ايزنهاور من العدوان الثلاثي على مصر كان واضحاً، بالرغم من أنه كان حليفاً لبريطانيا وفرنسا، لكنه تدخل لإيقاف العدوان على مصر.

وتدخلت قائلاً: لكن في منتصف الستينات بدأت سياستها تتغيّر وبدأت الحكومات المتعاقبة في تغيير مسارها وأصبحت الشعوب العربية تنظر إليها كدولة عدوّة، خاصة عندما ساندت إسرائيل أثناء حربها ضد الدول العربية عام 67، ومدّتها بالدعم اللوجستي بواسطة الباخرة «ليبرتي»، وتعاملت معها وكأنها ولاية من الولايات المتحدة الأميركية،

ومن ثم انقلبت من دولة تنادي بحريات الشعوب إلى دولة تفكر بعقلية الاستعمار والسيطرة على ثروات الشعوب، وبالذات العربية، هكذا أصبحت على مر السنين دولة متسلطة تريد فرض رأيها بالقوة، وباتت سياستها في نظر أكثر شعوب العالم السياسة النازية في ظل نظام هتلر، وكأنها ليست تلك الدولة التي

كانت تنادي بحرية الشعوب!!

لا شك أن أميركا اليوم هي التي تقود العالم، وقد تكون القطب الأوحد في هذا العصر، لكن هل تعمل فعلاً لمصلحة الشعوب كما تدّعي؟ هل تريد لهذه الشعوب أن تعيش في حرية وأمان بعد أن عانت من القهر والظلم، سواء من الاستعمار أو من غيره؟ أليس الشعب الفلسطيني واحداً من أكثر الشعوب تضرراً؟ ألا يستحق أن يعيش مستقلاً في أمان؟ ، أليست قضيته تاريخية ومعروفة، خاصة فيما يتعلق بإنشاء وطن لليهود ووعد بلفور، هذا الوعد المشؤوم الذي قطعته الحكومة البريطانية لإنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين، وما تحاول الولايات المتحدة الأميركية حالياً هو تمليك الجزء الباقي منها، وهذا هو أساس مسلسل المشاكل الأميركية مع الشعوب العربية الذي إلى الآن لم تظهر بوادر حلقاته الأخيرة، مع أن الدول العربية هي أكبر مُصدّر للطاقة إلى الولايات المتحدة الأميركية،

وهذا دليل على أن الحكومات العربية تسعى جاهدة للبقاء على هذه العلاقات في ظل أي ظروف، وتحت أي تأثير، كما أن الشعوب العربية، لم تسع يوماً إلى خلق عداوة مع الولايات المتحدة، لكن المشكلة في استمرار لا مبالاة هذه الأخيرة تجاه المطالب العربية الدائمة بالعدل والإنصاف، خاصة بالنسبة للقضية الفلسطينية، وكأن حق الشعب الفلسطيني المشروع في الاستقلال وتكوين دولة على أرضه كثير عليه، أو فوق قوة وقدرات الولايات المتحدة؟

في اعتقادي أن جلّ ما تتمناه الشعوب العربية من الشعب والحكومة الأميركية هو ألا يتركوا أمرهم لمجموعة من المغامرين الذين يدافعون عن الباطل من أجل مصالحهم الشخصية، ولا يأبهون لأصحاب الحق، متجاهلين أن مصالح دولتهم الدائمة هي مع الدول العربية.

«هايد بارك» من المشنقة إلى الحرية

من منا لا يعرف حديقة هايد بارك، كبرى حدائق لندن وأوروبا ومن يعرف هايد بارك لابد ان يعرف Hyde Parkcorner أو «ركن الخطباء» ففي يوم الأحد من كل أسبوع يجتمع عدد من المفكرين.والمنظرين والسياسيين، ليتحدثوا في هذا الركن أمام المئات، ويطرحوا أفكارهم ويعبروا عن آرائهم في مختلف المواضيع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية والدينية وغيرها.

وأي سائح يذهب إلى لندن لابد أن يمر على ركن الخطباء يوم الأحد، ويستمع للمتحدثين فيه، وهناك من يسافر خصيصاً إلى لندن لزيارة هذا الركن والمشاركة فيما يدور هناك لأنه المكان العام الوحيد الذي يسمح فيه بالحديث والمناقشة بكل حرية مهما

اختلفت التوجهات، والحديث مسموح في كل شيء ما عدا الطعن في الذات الملكية.

ركن الخطباء في حديقة هايد بارك هو أحد معالم لندن إن لم يكن أبرزها، وأشهر مكان عام يجسد الحقوق الديمقراطية في العالم، وقد يكون الوحيد المعروف، ويرجع تاريخ هذا الركن إلى عام 1872 ويقال إن طبقة الإصلاحيين في بريطانيا آنذاك كان لها الفضل في جعل هذا الركن مكاناً عاماً لجميع فئات الشعب للتعبير بحرية عن أفكارهم وآرائهم إلى أن تم الإقرار رسمياً به. لكن ما هو أصل هذا الركن؟

يقال: إن أصل ركن الخطباء يعود إلى القرن الثاني عشر حيث كان هذا المكان الذي تمارس فيه كل أنواع حرية التعبير حالياً، موقعاً لتنفيذ عقوبة الشنق علناً حوالي عام 1108.

ويستمد هذا المكان أهميته التاريخية باعتباره أول مكان علني لتنفيذ هذه العقوبة في بريطانيا والتي عرفت ازدياداً في القرن الثامن عشر على المضطهدين والمقهورين، إذن تاريخياً هذا المكان مرتبط بأحكام الإعدام والموت!!

إلى أن أصبح يشكل رمزاً للطبقة المكافحة التي كانت خاضعة لسيطرة الإقطاعيين ثم بعد ذلك ركناً للخطباء.

يقال إن أشهر المتحدثين في هذا الركن كان كارل ماركس صاحب كتاب «رأس المال» ولينين زعيم الثورة البلشفية وسكرتير عام الحزب الشيوعي السوفييتي والأديب والروائي المشهور جورج اورويل مؤلف كتاب «مزرعة الحيوانات» وكتاب «طغيان السلطة» ومن زعماء أفريقيا كوامي نكروما الزعيم الافريقي المعروف وأول رئيس لجمهورية غانا

بعد الاستقلال وعدد من زعماء آسيا وافريقيا الذين شرحوا قضايا وطنهم، وطالبوا من هناك بالاستقلال عن التاج البريطاني!!

فالمتحدث في هذا الركن له كل الحرية في التعبير عن رأيه وطرح أفكاره بأي أسلوب وحتى الذي له رأي مختلف أو مداخلة يستطيع مناقشة وعرض وجهة نظره، وعلى المتحدث أن يتقبل ذلك بروح رياضية، فهناك عشرات من رجال الشرطة للمحافظة على أمن الجميع ووقف أي شغب محتمل .

ولهذا الركن عند الإنجليز مكانة خاصة فهم يعتقدون أنه فيما مضى كان الإنسان يعلم أكثر من أية جامعة بريطانية، حتى الحضور كان يتجاوز الآلاف أما الآن فلا يتعدى المئات أو أقل، فزعماء الأحزاب المختلفة كانوا في السابق ينطلقون في هذا الركن لأنه كان المنبر العام الوحيد الذي يساعدهم على إيصال أفكارهم وآرائهم، وأهداف حزبهم إلى الشعب.

وللزعيم السوفييتي لينين قول مشهور هو: لكي تنجح وتوصل أفكارك لابد أن تذهب إلى الشعب في الساحات والشوارع والأزقة لتكسب ثقته، وتعاطفه مع آرائك وأهداف حزبك أما في عصرنا هذا فوسائل الإعلام وبالذات المرئية لا تكل جهداً في صنع رئيس أو زعيم وتتكفل بتوصيل أفكاره وآرائه إلى المنازل، دون استئذان على طريقة !!Home Delevery

ألذّ بيتزا أكلتها في حياتي !

باريس مدينة زرتها عشرات المرات ومع ذلك أعتقد أنني لم أكتشف اشياء كثيرة فيها.. ففي احدى زياراتي لها مع بعض الاصدقاء اقترح علينا احدهم ان نذهب إلى مطعم يقدم البيتزا لكنه تمنى أن نجد مطعماً يقدمها بنكهة ايطالية اصلية.

وليست كما نجدها في المطاعم المنتشرة على أطراف شارع الشانزليزيه، قلنا له كيف؟ قال: فلنسأل: كما يقول اخواننا المصريون: «اللي يسأل ما يتوهش»؟!! وهكذا كان، سألنا (concierge) الفندق فقال: هناك مطاعم إيطالية كثيرة والمطاعم التي تقدم البيتزا أكثر، لكنها ليست أحسن من تلك الموجودة على شارع الشانزليزيه.. هنا تدخل زميل له وقال: إذا كنتم تريدون

أكل بيتزا في باريس أنصحكم بمطعم في أحد أحياء جادة الأوبرا، فهو من أقدم مطاعم البيتزا في باريس، ومن اشهرها لدى الايطاليين ومحبي البيتزا، واذا اردتم الذهاب إليه الليلة، دعوني أجرب ربما استطيع ان احصل لكم على طاولة هناك!!

اتصل الرجل، لكنه لم يوفق في حجز طاولة في الليلة الأولى، وهكذا حاولنا ثلاث ليال متتالية إلى أن حصلنا على طاولة لثلاثة أشخاص وفي وقت متأخر.

وقبل ساعة من الدعوة ذهبنا إلى الشخص الذي حجز لنا وأخذنا منه العنوان، ثم طلبنا «تاكسي» وعندما سلمنا له العنوان قال باستغراب: أنا أعمل سائق تاكسي منذ حوالي 30 سنة لكني لم أسمع عن هذه الساحة التي يوجد بها المطعم، بكل تأكيد العنوان خطأ!! قلنا له: لا يمكن، اتصلنا بالفندق وتحدث السائق مع الشخص الذي حجز لنا في المطعم ليشرح له الموقع بالضبط، وبعد اخذ ورد، اغلق السائق التليفون وقال: مع ذلك فإنني لم أسمع عن هذه الساحة، لكني سوف آخذكم إلى هذا العنوان.

ومن حسن حظنا أن السائق كان مرحاً طوال الوقت على غير عادة سائقي سيارات التاكسي في باريس يسأل ويتساءل عن بلادنا، وعاداتنا، والرياضة المحببة عندنا، قلنا له: كرة القدم، فقال: مازحاً أنا لا أعرف لماذا العالم كله مجنون بكرة القدم، مع ان لعبة الركبي أفضل منها بكثير، فأنا شخصياً أشجع هذه اللعبة وافضلها على كل اللعبات، وقبل ساعة لعب المنتخب الفرنسي للركبي مع المنتخب الايرلندي وفاز عليه.

ولـو لم يكن مزاجي جيـداً لاعتذرت عـن تـوصيلكم إلـى هـذا العنوان!!

السائق كان سعيداً بفوز منتخب بلاده ومسترسلاً في مدح اللعبة المفضلة لديه، وصديقنا مستعجل للوصول إلى مطعم البيتزا الذي استغرق الحجز فيه ثلاث ليالٍ بعد أن سرنا بشوارع ضيقة في جادة الأوبرا وقف السائق في زقاق ضيق جداً، وقال مازحاً بـاللـغة الانجليزية وبلكنة فرنسية أفي مثل هذه الأزقة توجد ساحات؟! مع ذلك يا سادة هذا هو المطعم الذي تبحثون عنه، وهذه هي الساحة التي لا تتجاوز مساحتها 20 في 20 متراً، ثم أكمل: ألا تعرفون أن الفرنسيين مجانين!! أباحة كهذه يمكن ان يطلق عليها اسم ساحة؟!

فعلق صديقنا قائلاً بعد كل هذا التعب اذا كانت هذه هي الساحة، فما بالكم بالمطعم وأكله؟

عند الباب وجدنا طابوراً من الاشخاص ينتظرون ولأننا كنا قد حجزنا مسبقاً لم ننتظر أكثر من نصف ساعة!!

استغربنا عندما كان يمر علينا بعض العاملين في المطعم وهم يحملون بيتزا بحجم كبير جداً لكننا كنا نقول انهم ربما اعدوها لعدة اشخاص وهكذا بعد ان اخذوا طلبنا، وبعد طول انتظار وجدنا أمامنا ثلاثاً من البيتزا بنفس الحجم الكبير!

وبعد أن رأى العامل علامات الدهشة على وجوهنا قال: ان البيتزا عندنا كلها بنفس الحجم، مع ذلك سوف تأكلونها وتطلبون المزيد!!!

فعلا لم نتذوق بيتزا بسماكة خبز الرقاق عندنا، وبهذا الحجم الكبير.

.. كانت ألذ بيتزا أكلتها في حياتي واستمتع بها صديقنا مجنون البيتزا وعلق قائلاً: ما اشهاها من بيتزا وما أصعب الوصول اليها!

اليابانيون كيف كانوا وأين أصبحوا ؟

جاءت زيارتي الأخيرة لمدينة أوساكا ردا على زيارة حاكمتها، وبناء على اتفاقية التوأمة الموقعة بينها وبين دبي.وبعيداً عن الرسميات تعرفت على هذه المدينة عن قرب، وأردت ان اشارك القراء انطباعاتي عنها وعن الشعب الياباني المؤدب الخلوق.

تعتبر هذه الزيارة هي الثالثة لي إلى اليابان والأولى لمدينة أوساكا، والمعروف عن الشعب الياباني الدقة في كل شيء، والتقيد بالمواعيد وبرامج العمل، كما انهم يقدسون عملهم ويحترمون العمل الجماعي، ولا يحبذون اتخاذ القرارات الفردية، كل حسب تخصصه، فمن الصعب جداً ان تحصل على معلومات كافية من احدهم عندما يتعلق سؤالك بالأرقام فهو يرد عليك بأنه

سوف يتأكد من المسؤولين حتى لو كان ذلك ضمن تخصصه، لكن حرصاً منه على عدم الوقوع في الخطأ وزيادة في التأكيد ويفضلون اتخاذ القرارات الجماعية، ولو كان الأمر يتعلق بمعلومة ليس إلا!

يبلغ عدد المدن الكبيرة في اليابان 671 مدينة حسب الاحصائيات الرسمية هذا بالإضافة إلى القرى والمدن الصغيرة.

اما عدد البلديات فيصل إلى 3200 بلدية منها حوالي 40 بلدية في مقاطعة اوساكا وحدها في حين تقدر مساحة اوساكا بمليون وتسعمئة الف كلم مربع ويبلغ عدد سكانها 8,5 ملايين نسمة من اجمالي عدد سكان اليابان الذي يصل إلى حوالي 127 مليون نسمة، وبالمقارنة فان عدد البلديات في طوكيو يبلغ 39 بلدية، اما مطار اوساكا الذي يعمل على مدار 24 ساعة فيعتبر من انشط المطارات في اليابان وقد بني على جزيرة اصطناعية.

وبالرغم مما تشهده اليابان من تطور علمي وتكنولوجي سريع وتفوقها في ذلك، إلا ان هذا التطور لم يطل المظهر الخارجي لليابانيين وقد يرجع ذلك إلى طبيعتهم الهادئة وحبهم للبساطة ونبذهم للادعاء والمظاهر الكاذبة.

ضمن برنامج زيارتنا لمدينة اوساكا زرنا مدينة «كنساي» للعلوم، والتي اقيمت على مساحة تقدر بحوالي 15000 هكتار ممتدة على ثلاث مقاطعات وهي كيتو، واوساكا ونارا ومؤخرا تم البدء في تنفيذ المرحلة الثانية من هذا المشروع الضخم، ومن المتوقع ان ينتهي عام 2005 وتضم المدينة مراكز تعمل في بحوث

علمية مختلفة ومتطورة، وتقدم خدماتها للجامعات والمؤسسات الحكومية والخاصة خصوصا في مجالات الصناعات الكبرى، وروعي في بنائها المحافظة على البيئة.

اليابان التي واجهت أميركا في الحرب العالمية الثانية وما زال الأميركان يتذكرون ما فعلوا بهم في هذه الحرب، خصوصا تدميرهم لقاعدة «بيرل هاربر» ولولا استخدام أميركا القنبلة الذرية لأول وآخر مرة في التاريخ لكان الوضع مختلفاً، لكن أميركا في غفلة من العالم كعادتها استعملت اسلحتها المدمرة التي ادت إلى استسلام اليابان.

وبالتالي فرضت أميركا شروطها عليها ومنها عدم امتلاكها لجيش أو اسلحة تستطيع المحاربة بها، وكانت هذه نقطة البداية بالنسبة لليابانيين حيث ركزوا على ما هو اهم واستفادوا من عقولهم البشرية واستثمروها في مجالات صناعية وعلمية أخرى ادت إلى انتعاش اقتصاد اليابان حتى أصبحت في مقدمة الدول الصناعية.

وكما هو معروف فاليابان تتكون من مجموعة من الجزر لا موارد طبيعية لها إلا الإنسان وهو بلا شك اغلاها، ولا يخفى ان قائمة اغنياء العالم التي تنشر سنويا لابد وان تضم احداً من اليابانيين بين العشرة الاوائل، هكذا أصبحت اليابان قوة اقتصادية مؤثرة في العالم، وصناعاتها منتشرة في كل مكان وأكبر واقوى منافس لأميركا واوروبا.

يقال والعهدة على الراوي إنه في حكم محمد علي باشا لمصر في

بداية القرن الماضي زارت مجموعة من اليابانيين مصر ليتعلموا علم الادارة ويستفيدوا من خبرة مصر في هذا المجال.

كيف كانوا واين أصبحوا؟! بداية القرن يتعلمون ومنتصف القرن يحاربون، ويتعرضون للدمار البشري والمادي والتقني ومع نهاية القرن يعيدون بناء انفسهم ليصبحوا في مقدمة البشرية!.

خبير الإشارة الحمراء !!

قبل حوالي عامين توجهت إلى لبنان في زيارة رسمية، وكتبت انطباعاتي في «استراحة البيان» عن هذه الزيارة تحت عنوان «لبنان يتطلع لغد افضل»، وقبل أسابيع زرته مرة ثانية واكتب عنه اليوم بعين الزائر والسائح والمحب لهذا البلد الجميل بطبيعته الخلابة ، وسحر جباله وأناقة شعبه، كما شعرت بأن هذا البلد قد بدأ يأخذ وضعه الطبيعي خاصة فيما يتعلق بالبنية التحتية وتنسيق المباني وبالذات منطقة وسط مدينة بيروت، التي تنبض بالحياة والحركة ليلاً ونهاراً، والمماشي فيها مليئة بالمطاعم والمقاهي المتنوعة وفي هذا الموسم الربيعي تزداد بيروت نشاطا وحيوية.

فالعائلات بمختلف الاجناس والأعمار تستمتع بقضاء أوقاتها في

تلك المطاعم والمقاهي خاصة هواة الممنوع المرغوب «الشيشة» الذين يجدون ملاذهم في أغلب المقاهي التي تتفنن في تقديمها.

أسعدني أن لبنان وبيروت بصفة خاصة قد استرجعت بريقها بعد الأزمة التي ألمت بها، وبنا نحن ابناء الخليج، فهي كانت ملاذنا في الاجازات، وخاصة الاجازة الصيفية، وانا اليوم متفائل بازدهار الموسم الصيفي المقبل في لبنان، وعلى الاخوة اللبنانيين ان يستعدوا لذلك.

قبل ان تحط بنا الطائرة في مطار بيروت اعطتنا المضيفة بطاقات للدخول، استوقفتني فيها فقرة أسباب الزيارة، التي حددت بأربعة خيارات منها «زيارة خاصة» ولأني لم افهم ماذا تعني زيارة خاصة، اخترت هذه الخانة!!

وعند الوصول، قدمت جوازي إلى الضابط سألني مستغرباً: لماذا زيارة خاصة، وشو بتعمل؟ قلت: ولماذا حددتم ذلك في البطاقة؟ انا اخترتها، لكي أستفسر منك! هز كتفه وختم الجواز، وكأن لسان حاله يقول أنا مثلك لم افهم.

وأنا في طريقي إلى استلام الامتعة استوقفتني فتاة جميلة وبابتسامة، طلبت مني جوازي كباقي المسافرين، وسألتني: شو بتعمل في بلدك؟ استغربت من السؤال أكثر من التوقيف، وأجبتها مازحاً: ماذا تريدين ان يكون عملي؟ اختاري ما بدك! هزت كتفها هي الاخرى وسلمتني الجواز، هكذا بكل بساطة دخلنا لبنان، لكن الخروج منه لم يكن كذلك، طابور طويل من المغادرين، س و ج لم يكن لها داع خاصة والمسافر مغادر.

وأهم ما لفت نظري في بيروت هو حركة السير والمرور هذه المشكلة التي تواجه كل مدن العالم، ففي بيروت حركة السير والمرور في فوضى لا مثيل لها!

مع ان الشعب اللبناني شعب مثقف ومتحضر، لكنني لا اظنهم كذلك في التقيد بنظام السير والمرور!

في مساء اليوم الثاني من الزيارة ركبت سيارة اجرة من الفندق إلى مطعم قريب وسط المدينة، ونحن في الطريق لم يتوقف السائق عند الاشارة الحمراء مرتين، وفي المرة الثالثة كدت اقول له حاسب يا اخي حافظ على حياتك، وحياة من معك، لكني فوجئت بسيارة خاصة فخمة وآخر موديل يقودها شخص انيق قطع هو الآخر الاشارة وهي حمراء، عندها سألت السائق، هل النظام عندكم عدم التوقف عند الاشارة الحمراء؟!

قال: لا، النظام واحد في كل مكان، لكننا نحن اللبنانيين لا نعترف بالاشارة الحمراء نراها خضراء في كل مكان كجبال لبنان، أليس هكذا أحسن!

قلت في نفسي اذا كان كذلك فعلى المسؤولين في بلدية بيروت والمسؤولين في المرور ان يتوقفوا عن الصرف على هذه الاعداد الهائلة من الاشارات الضوئية، ويستثمروا تلك المبالغ في مجالات أخرى تفيد أهالي بيروت.

وفي صباح اليوم التالي، التقيت بأصدقاء لبنانيين فأخبرتهم بما حصل، فرد علي أحدهم: اجلس معنا يومين آخرين وسوف ترى سيارة تمشي عكس السير!!

قلت أهذا يحدث في بيروت والمعروف عن اللبنانيين انهم أكثر الشعوب العربية رقيا وتحضراً.

رد علي قائلا: إلا في التقيد بنظام السير والمرور.

هنا تذكرت نكتة تقول: ان سائقاً كان يقود سيارته ومعه مجموعة من الركاب مرّ على اول اشارة حمراء دون ان يتوقف، فسأله احدهم: لماذا لم تتوقف فالاشارة حمراء؟ رد عليه:

لا عليك انا خبير في ذلك، ومرّ على الثانية ولم يتوقف، وقال: لا عليكم انا خبير في ذلك، ومرة على الثالثة ولم يفعل كذلك وقال انا خبير في ذلك، وعندما وصل إلى الاشارة الرابعة كانت خضراء فتوقف، حينها استغربوا جميعاً وسأله أحدهم: الاشارة خضراء فلماذا التوقف قال: خوفي من ان يأتي خبير آخر من الجهة المعاكسة والاشارة حمراء!

مدينة المزايا الثلاث !

زرت للمرة الثالثة مدينة برشلونة ثاني المدن الاسبانية وعاصمة كتالونيا، هذه المدينة التي يعود تاريخها إلى أكثر من 2500 سنة عندما قرر الفينيقيون والقرطاجيون الاستقرار في هذه المنطقة وانشاء ميناء تجاري فيها. والذي أصبح اليوم واحدا من اهم مواني اوروبا والبحر الابيض المتوسط، فهو يربط برشلونة بحوالي 400 مدينة في 120 دولة.

زرت برشلونة عام 1968 للمرة الاولى قادما من لندن، اي قبل قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، واذكر اننا سكنا في «بنسيون» وسط المدينة، واستقبلنا صاحبه بترحاب لاننا ابناء عرب، كانوا حينها لهم صيت طيب يذكر!! وقال انه كان يعيش في الاسكندرية وانه مر ذات

يوم بميناء دبي، واذكر انه كان يتحدث بلهجة الخواجات في مصر!!

اما المرة الثانية فكانت في عام 1981 في رحلة إلى اسبانيا مع العائلة، اي بعد مرور حوالي 13 عاماً على زيارتي الاولى، فوجدت برشلونة جديدة ومختلفة تفخر ببنيتها التحية التي بدأت في تطويرها، كالحدائق العامة والطرق والعمارات العصرية الحديثة، واحيائها التاريخية التي تأخذك هندستها المعمارية إلى عصور قديمة.

ورحلتي الاخيرة لها كانت خلال زيارة رسمية كانت بمناسبة مشاركة مدينة دبي في مؤتمر المنتدى الحضري العالمي، الذي اقيم على هامش منتدى برشلونة 2004 وقد حضره أكثر من 5000 شخص، لم يمثل العرب فيه إلا عدد قليل.

يبلغ عدد سكان برشلونة حاليا مليونا وستمئة الف نسمة، ويعتقد أهلها ان لديهم ما يميزهم عن المدن الاخرى ويعتبرونها مفخرة لهم ولبلدهم، واولى هذه الميزات ان «كريستوف كولومبس» اعلن عن اكتشافه للعالم الجديد ويقصد به أميركا الشمالية من ساحة مدينتهم، وثانيها وجود اشهر كنيسة في اسبانيا في مدينتهم وتسمى SAGRADA FAMILIA اي العائلة المقدسة، حيث بدأ العمل بها عام 1982 ومازال مستمرا حتى اليوم والمتوقع الانتهاء منه عام 2050 .

وسوف تضم الكنيسة 18 برجاً غريبة الشكل وقد شارك في تصميمها عدد من اشهر معماري اسبانيا، وقد فارق بعضهم الحياة ومنهم معماري القرن «أنطونيو غودي».وثالث ميزات برشلونة استضافتها لدورة الالعاب الاولمبية لعام 1992، هذا الحدث الذي اكسبهم عزة وفخرا يحاولون نقلهما إلى كل الزائرين لمدينتهم.

أما نحن العرب فنفتخر بانجازات العرب والمسلمين في اسبانيا ومازلنا نعيش على صيتهم ونتحسر على أيام عزهم ومجدهم، حتى أصبحنا نعتقد ان كل شبر في اسبانيا لابد وان يحتوي على عبق حضارة المسلمين فيها، خاصة وان تقاليد وعادات ومفردات بعض المناطق في اسبانيا مشتقة من اصول عربية، وهذا فيه شيء من الصحة.

وفي زيارتي الاخيرة لها كنت في منطقة تسمى الرمبلة فقال احد الاخوة انه سمع ان هذه المنطقة كانت جزءا من البحر وكانت مكسوة بالرمال لهذا اطلق عليها هذا الاسم، وهي فعلا قريبة من البحر لكنها قد لا تعني بالضرورة ذلك!!

وتذكرت حينها رحلة سابقة إلى احدى المدن الاسبانية وهي مدينة فالنسيا خلال مؤتمر المدن الاوروبية العربية، ذهبت مع بعض الاخوة إلى مطعم اسباني، فطلب احدهم ثوما مع الاكل.

وحاول جاهدا افهام الجرسون طلبه باللغة الانجليزية لكنه عجز عن ذلك، فتدخل احد الاخوة وقال مازحا باللغة العربية ثوم يا اخي ثوم، فابتسم الجرسون وردد بصوت مرتفع آه توما، توما!!

وفي المساء التقينا بصديق عربي يعيش هناك فقال لنا، لا تستغربوا فهناك مفردات كثيرة في اللغة الاسبانية مشتقة من اللغة العربية، وتابع ان الطبق الاسباني المشهور PAELA «باييلا» يقال انه من اصل عربي وهو عبارة عن بقايا مجموعة من الاكلات كان يوزعها العرب الاثرياء على الفقراء مع انه لا شيء يثبت ذلك.

ومما لاشك فيه ان العرب والمسلمين تركوا بصمات واضحة في

اسبانيا وكان لهم دور تاريخي مؤثر، لكن اين هم الآن؟؟

فرغم كل ما جرى مازال الشعب الاسباني متعاطفاً جدا مع العرب وكذلك بعض الحكومات الاسبانية المتعاقبة إلى ان جاءت حكومة «خوسي ماريا آزنار» العنصرية التي رأت انه في مصلحتها ايجاد مكان لها ضمن اتباع الولايات المتحدة الأميركية.

ولكن في اول فرصة اراد الشعب الاسباني ان يثبت للعرب انه مع قضاياهم، فأسقط تلك الحكومة المتطرفة وانتخب حكومة جديدة معروف عن رئيسها ترحيبه بصداقات مع العرب وتعاطفه مع قضاياهم، ولكن مع الاسف ايضا لم تبادر إلى الآن اية دولة عربية لتقوية علاقاتها، وكسب صداقة هذه الحكومة، ربما لان العرب لم يعد لهم شيء يوحدهم سوى لغتهم والتي قد يتخلصون منها مع الزمن خوفاً من ان تصبح في يوم من الأيام سبباً لإلحاق التهم للمتحدثين بها!!

الباب
الخامس

أوراق الوطن

غياب الحرفيين..
تقصير حكومات أم تبعات استعمار؟

في حلقة تلفزيونية وفي إحدى محاضراته القيمة حول صناع الحياة تحدث الداعية «عمرو خالد» عن أهمية الحرف في بناء المجتمع وعن أهمية العامل الحرفي في دفع عجلة التقدم، واسترشد بمجموعة من الآيات القرآنية الكريمة، ومن الأحاديث النبوية الشريفة حول هذا الموضوع للتأكيد على ان الإسلام لم يترك مجالاً يخص الإنسان إلا واعطاه دلالة وقيمة، وشرحه شرحاً مفصلاً، وان كان هناك تقصير فهو يعود إلى جهل البعض منا، أو عدم الرغبة في الاجتهاد والفهم.

وفي برنامجه صناع الحياة يبذل عمرو خالد قصارى جهده لايصال مجموعة من الأفكار والرؤى للشباب المسلم لحثهم على

الاستفادة منها من أجل مستقبل أفضل، ويركز على دور المهن ودور العاملين في المجال الحرفي.يقول عمرو خالد ان للاستعمار دوراً كبيراً في نشر ثقافة سلبية عن المهن الحرفية في الدول العربية.

ومهما كانت الأسباب في ما مضى فإني أعتقد أن الحكومات العربية هي المسؤولة، فما زال الحرفيون والعمال المهرة في الدول العربية لا قيمة لهم في مجتمعاتهم، مع ان العامل الحرفي لا يقل دوره عن دور المهندس والدكتور والأستاذ الجامعي، كيف لا؟ فهؤلاء يتخيلون ويخططون ويرسمون أما العامل الحرفي فدوره أكبر لأنه هو الذي يساعدهم على الإيفاء بالتزاماتهم، فهو من يقوم بتجهيز الأرضية التي يبدأون منها إبداعاتهم،

وهو الذي يجمع الأجهزة التي تُصنع منها مركبة الفضاء مثلاً، الطائرة وأجهزة التلفزيون والهاتف وهو الذي ينفذ الطاولة التي يرسم عليها المهندس والمقعد الذي يرتاح عليه الأستاذ الجامعي ليفكر، فدور العامل الحرفي لا يقل أبداً عن دور العالم والمخترع لأنهما لا يستطيعان إنجاز شيء من دون مساعدة هذا العامل،

وإدراكاً منها لأهمية هذا الدور تلجأ الدول الصناعية بخبرتها وعلمها إلى الشعوب الآسيوية للاستعانة بقدرات وإبداع الحرفيين فيها، في دول مثل الهند والصين وماليزيا وغيرها من دول شرق آسيا، وهذه الدول تقدمت ولحقت بالدول الأوروبية بفضل هؤلاء العمال، وقد يصبح هؤلاء العمال صنّاع الحياة في العالم الجديد، ولو توقفوا عن العمل لتوقفت عجلة التطوير والاختراع العالمية.

لكن أين أصبحت ثقافة العرب في هذا المجال؟ للأسف لم تتغير

النظرة السلبية لهؤلاء الحرفيين في بعض الدول العربية، وما زال ينظر إليهم على أنهم أدنى مستوى من الموظفين الحكوميين أو حتى الكتبة، فمثلاً ما زالت بعض العائلات تنظر باحترام إلى الموظف الذي يتقاضى راتباً يعادل 2000 درهم منه إلى حرفي يتقاضى ما يساوي 10000 درهم!!

فهم يفضلون تزويج بناتهم من الأول!! والسبب في هذه الأفكار السائدة عن الحرفيين في بعض المجتمعات العربية إلى الآن في اعتقادي هي الحكومات لأنها مازالت تركز على الجامعات ولا تهتم بالكليات والمعاهد المهنية بالقدر نفسه، وقد نجد في دولة ما، عدداً من الجامعات لكننا لا نجد فيها معاهد التكوين المهني أو الحرفي بالقدر المطلوب، مع ان المفروض هو العكس لأن فرص العمل قد تتوفر أكثر للعمال الحرفيين، فالمجتمع دائماً في حاجة اليهم.

وقد نجدهم في بعض الدول لعدم وجود معاهد لصقل مواهبهم وتدريبهم مهنياً إذ يتعلم الحرفيون المهنة من آبائهم، ويعلمونها لأبنائهم، وهكذا تصبح تقليداً يتوارثونه فيما بينهم. فإن كان للاستعمار يد في نشر ثقافة سلبية عن الحرف كما يقول عمرو خالد . مع احترامي وتقديري له . إلا أن الشعوب العربية وبعض الحكام والمسؤولين، هم السبب في ترسيخها وإلا لماذا لم يسعوا إلى تغيير هذه الثقافة ونشر صورة إيجابية عن المهن الحرفية لانعاشها والنهوض بها،

كما تفعل دول جنوب شرق آسيا مثل الهند وماليزيا، فالاستعمار كان عندهم كما كان عندنا. وأذكر إننا في مدينة دبي في بداية

الخمسينات كان هناك مواطنون يعملون في مهنة الحدادة، والدباغة، والنجارة، والصياغة والخياطة، وصناعة الشجيج «وهو قماش يستعمل لأشرعة السفن» فالنجار كان يصنع السفن الخشبية، والحداد يصنع المسامير، وصناع الشجيج يصنعون الأشرعة وهكذا. أما الآن فلم تتبقى إلا أسماء المواطنين على بعض محلات الخياطة الرجالية التي أصبحت تحت إدارة وعمالة آسيوية!

إرادة الإنسان وراء كل إنجاز

سافرت مع طيران الإمارات على متن طائرة الايرباص العملاقة A.340-500 في رحلة امتدت آلاف الأميال واستغرقت حوالي 14 ساعة دون توقف إلى مدينة سيدني. كبرى مدن أستراليا، هذه القارة التي تساوي مساحتها مساحة أوروبا، ولقد كانت مثل هذه الرحلة فيما مضى حلماً، وبإرادة الإنسان تحققت، وكذلك طيران الإمارات التي تأسست قبل سنوات بإرادة وعزم إنسان ثم أصبحت الآن أكبر ناقل جوي في الشرق الأوسط، إن لم يكن أحسنه في العالم. فلقد استطاعت هذه الشركة في وقت قياسي أن تربط بين جميع أنحاء العالم، فهي في توسع دائم، وتسيّر رحلاتها الآن إلى عدد من المدن الأسترالية ونيوزيلندا واليابان ومؤخراً أميركا، وهي بذلك تقدمت على كثير من الشركات العالمية، بل

تفوقت عليها في الخدمات والتسهيلات التي تقدمها للمسافرين على متنها.

وكما ذكرت، فلقد كان وراء تأسيس هذه الشركة رؤية وإرادة وقرار فاق في حينه كل التصورات والتوقعات المنطقية السائدة في منطقتنا العربية. كما أن صناعة الطائرات في حد ذاتها فاقت كل التصورات في بدايتها، حيث كان لا يمكن لأحد تخيل أو تصور اكتشاف وسيلة للنقل كهذه والتي بلغت أعلى مواصفات الجودة والأمان في عصرنا الحالي.

وهذا كله تحقق بإرادة الإنسان وتحديه للمستحيل وحبه للتطور والتجديد. فمنذ العصور الماضية وإرادة الإنسان هي المحفِّز والمحرك الأساسي الذي أوصله إلى تحقيق المعجزات. فمثلاً فكرة الطيران بدأت بمحاولة تقليد الطيور وأبرز وأشهر محاولة عند العرب والمسلمين كانت عندما حاول «عباس بن فرناس» الطيران قبل حوالي ألف سنة، أما فكرة صناعة الطائرات فلقد بدأت في الغرب بصناعة طائرات صغيرة الحجم باءت بالفشل في بدايتها، ثم مع مرور الزمن تطورت إلى أن وصلت إلى صناعة طائرات فاقت سرعة الصوت، وفي عصرنا هذا صارت تقطع آلاف الأميال في ساعات قليلة دون توقف وبإمكانيات وتسهيلات تجعلك تحس وكأنك في فندق متحرك.

إنها إرادة الإنسان، فبالإرادة يتحقق كل إبداع فكري وكل إنجاز علمي، هكذا كان في الماضي وسوف يكون في المستقبل، فبالإرادة والإيمان وصل المسلمون إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا،

وعندما توقفت الإرادة والطموح عند حكام المسلمين توقفت إنجازاتهم. فبالإرادة اكتشف الأوروبيون أميركا وأستراليا ونيوزيلندا قبل حوالي 300 سنة، فالأوروبيون وعلى رأسهم الانجليز لم تتوقف إرادتهم آنذاك عند حد معين، فوصلوا إلى قارات تبعد عنهم آلاف الأميال.

وتفصل بينهم البحار والمحيطات، أطلقوا عليها اسم أستراليا ونيوزيلندا في حين أن الصين واليابان كانتا أقرب إليها، وكانتا في أوج قوتهما وازدهارهما، وكانت فيما بينهما حرب دائمة للسيطرة على المنطقة وبحارها، خاصة اليابان الامبراطورية التي كانت لها صولات وجولات في المنطقة، وهي عبارة عن جزيرة صغيرة مقارنة بتلك الأراضي الشاسعة غير المأهولة آنذاك والتي كانوا في حاجة إليها، وهم الآن منتشرون في تلك القارة لتوفر فرص أكبر لهم للعيش والعمل هناك سواء بجنسياتهم الأصلية أو بالجنسية الأسترالية!

هل هذا يعني أن الشعوب الأوروبية أكثر إرادة وطموحاً من بين بني البشر؟ نعم. فكل الدلائل تشير إلى أن سكان العالم الأقوى مثل أميركا وأستراليا وكندا هم من أصول أوروبية، فهم سادة العصر الحديث، وهم أكثر قدرة وإرادة حالياً، ولقد أثبتوا ذلك بتفوقهم علينا في شتى المجالات، لكن لماذا؟ مع ان المسلمين في العصور الماضية كانوا منبر العلم والمعرفة ونقلوهما للشعوب الأخرى، وهم الذين فتحوا للأوروبيين طريق الاكتشافات العلمية، لكن إرادتهم توقفت، وما زلنا نعيش على أمجاد الماضي.

لماذا نحن المسلمين في تراجع مستمر رغم الخبرات والكفاءات العلمية المسلمة التي وجدت لنفسها مستقبلاً خارج أوطانها لتطوير وتعزيز قدراتها، فنحن نعيش في عصر لا يعترف إلا بالإرادة والتقدم العلمي، فمتى نوفر البيئة الملائمة والمجال الأوسع لاحتضان كفاءاتنا العلمية المنتجة؟ من المسؤول عن ذلك؟ ومتى نسترجع إرادة مسلمي العصور الماضية.

إعادة تخطيط .. «المنتخب»

بهدوء، وبعد مضي وقت لا بأس به، نرجع إلى موضوع شغل عشاق ومتابعي منتخب الإمارات لكرة القدم، وهو خروجنا من كأس الخليج التي أقيمت مؤخراً في دولة الكويت كما يقول المثل المصري «خرجنا من المولد بلا حمص».

ولأول مرة منذ بداية اشتراكنا في هذه البطولة المحببة على قلب كل خليجي، ولولا فريق اليمن الشقيق ومشاركته لأول مرة لنافسنا منتخب الكويت على المركز الأخير!

خرجنا من هذه البطولة، ولسان حالنا يقول: كيف؟ ولماذا؟ وما هي الأسباب ومن المسؤول؟

وحتى نتدارك الأسباب في البطولات القادمة، اردت مشاركة من سبقوني وطرحوا مثل هذه التساؤلات.

بداية لا أحمل المسؤولية الكاملة للجنة المؤقتة، مع أنها تتحمل جزءاً منها، وعتبي عليهم وعلى من سبقوهم في مسألة كثرة التصريحات حتى هييء لجمهور الإمارات، ان البطولة قادمة لا محالة وان لم يحصل ذلك، فبكل تأكيد سوف نحرز مركزاً متقدماً وأغرب ماجاء في هذه التصريحات مانشرته احدى جرائدنا المحلية على لسان أحدهم أثناء البطولة والفريق مهزوز مهزوم حين قال: ان الأداء الذي ظهر به الفريق لدليل على أننا نسير في الطريق الصحيح.

أما التصريحات الأخرى فحدث ولا حرج، وقد يتساءل البعض: اذا كان الأمر كذلك فلماذا لا نحمل مسؤولية الإخفاق للجنة المؤقتة؟ أقول: لأنهم جاؤوا ليتحملوا مسؤولية غيرهم، وهذا ليس موضوعنا فأهم ما يجب ان يشغلنا هو إلى أين نحن متجهون بعد 35 عاماً من عمر كرة القدم؟ وإلى متى سوف نستمر في التراجع عما كنا عليه؟ وما هو الحل؟

لقد كتبت في «البيان» قبل حوالي أربع سنوات وبتاريخ 18 أبريل عام 2000 مقالاً تحت عنوان «المدربون والعصا السحرية»: انه علينا التفاؤل والصبر وتهيئة الجو المناسب للمدرب واعطائه الفرصة الكافية، وجميع الصلاحيات على الأقل حتى عام 2004 وكان المدرب آنذاك «هنري ميشيل» مع ذلك شككت وتحديت ان يحدث ذلك، لأن تجربتنا خير دليل على عدم صبرنا وتحملنا المسؤولية، فالمدرب عندنا دائماً هو المتسبب الوحيد وبدوره هو الضحية!

في عام 1996 احتل منتخب الإمارات المركز الثاني في كأس أمم آسيا التي اقيمت في الدولة بقيادة المدرب المعروف «إيفيتش» في حين

احتل منتخب المملكة العربية السعودية الشقيق المركز الأول، الذي فاز علينا بضربات الترجيح، وبذلك احتل منتخب الإمارات المركز الثاني وكان مركزاً مشرفاً لان هذه النتيجة كانت غير مسبوقة، لكن كالعادة لم نرض بها وحملنا المدرب المسؤولية، وتم الاستغناء عنه، ومن هنا كانت البداية واستمرت سلسلة الاستغناء عن عدد من المدربين الاكفاء والمعروفين عالمياً لانهم لم يستطيعوا خلق معجزة ترضينا!! وتحملت ميزانية اتحاد الكرة المبالغ الطائلة لتعويضهم.

يقول احد الاصدقاء: انه التقى صدفة المدرب هدسون فسأله: ماذا حصل للمنتخب ولماذا ظهر بهذا المستوى وبهذه النتيجة غير المتوقعة؟ فأجابه: أنتم أردتم منتخباً كهذا بدءاً باختيار اللاعبين وانتهاء بهم داخل الملعب. فسأله لماذا لم تصرح بذلك فرد عليه لمن: لوسائل الاعلام (....)!!

هكذا كان رد المدرب، أما أنا فأقول كما قال الممثل الراحل نهاد قلعي في مسلسل «غوار» إذا اردت ان تعرف ماذا يدور في البرازيل عليك ان تعرف ماذا يدور في المكسيك!!

هكذا أصبحنا ندور في حلقة مفرغة بدءاً من بطولة الخليج الخامسة عشرة في السعودية وحتى البطولة الاخيرة في الكويت، فإذا اردنا تطوير منتخبنا علينا اخذ العلم والمعرفة ممن سبقونا والاستفادة من تجربتهم في هذا المجال على ان يكون هدفنا رفع علم الإمارات من خلال المنتخب.

أثناء بطولة كأس العالم للشباب التي اقيمت مؤخراً في الدولة التقيت باثنين من المدربين البرازيليين المعروفين داخل وخارج الدولة،

سألتهما عن سبب تواجدهما في هذه البطولة فاستغربت عندما عرفت بأنه تم تكليفهما من قبل الاتحاد البرازيلي لمتابعة اللاعبين وتقييم ادائهم داخل الملعب لاختيار احسن العناصر وتقديم اسمائهم للاتحاد ليتم ضمهم مستقبلاً إلى الفريق الأول.

هكذا يتم التخطيط لاختيار لاعبي المنتخب، والعكس تماماً يحدث عندنا.!!

فإذا أردنا منتخباً قوياً يشرف دولة الإمارات ويتماشى مع التقدم الذي احرزته الدولة في شتى المجالات علينا اعادة النظر في أسلوب تخطيطنا، وكفانا اختلافاً وتخبطاً لانهما السبب الاول والأخير في تراجع منتخبنا فنحن بكل هذه الإمكانيات المادية والفنية المتوفرة مازلنا متأخرين عن دول ذات إمكانيات بسيطة ومحدودة بل تراجعنا عما حققناه قبل سنوات وكان ابرزه وصولنا إلى نهائيات كأس العالم في ايطاليا، ناهيك عن مراكز متقدمة في بطولات الخليج.

إلى جنة الخلد يا زايد

فجعت دولة الإمارات العربية المتحدة ومن خلفها دول العالم بمصاب جلل، وودع شعب الإمارات والشعوب العربية والداً حنوناً، وقائداً عظيماً ومؤسس وباني دولة الإمارات العربية المتحدة.

انتقلت يا زايد الخير إلى رحمة الله، لكنك ستعيش معنا دائماً، فأنت خالد بأعمالك الجليلة داخل وخارج الدولة.رحلت يا زايد الخير جسداً لكنك ستبقى روحاً وفكراً في قلب شعبك وأمتك.فهناك نخبة من القادة والرجال رحلوا ولم يتكرروا، هكذا علمنا التاريخ وهكذا أنت يا زايد.

ان جيلنا كان سعيد الحظ لأنه عاش معك وتشبع من حكمتك ورافقك وانت تبني هذه الدولة الفتية التي أصبحت في مقدمة الدول في أكثر من مجال، هذه الدولة التي ولدت في 2 ديسمبر عام 1971

عندما عقدت العزم مع اخوانك حكام الإمارات وحملتم على عاتقكم بناءها اقتصادياً وسياسياً وعلمياً واجتماعياً حتى اوقفتموها على ابواب القرن الحادي والعشرين بكل شموخ.

وبالرغم من ان ميلادها كان في أصعب الظروف التي كانت تمر بها الأمة العربية، حيث كان الأعداء يتربصون بها من كل جهة، لكنك قدت هذه الدولة، ومضيت بنا قدماً، وبنيت لنا قيماً، وعبرت بنا في ظل تلك الظروف وشيدت لنا على رمال الصحراء مع اخوانك دولة عصرية بات يضرب بها المثل وأصبحت مثار اعجاب كل من شكك في استمراريتها فهنيئاً لجيل كنت قائده يا زايد.

لقد كنت حكيماً يا زايد، كنت رجل المواقف الصعبة تعمل دائماً مع الحق، وتناصر أصحاب الحق، امتدت يداك إلى مساعدة الفقراء ونصرة الضعفاء في كل مكان، ومسحت بكرمك البؤس والشقاء عن المحتاجين في كثير من الدول.

بل كلما ذهبنا خارج الوطن نحن ابناء الإمارات سبقتنا اعمالك وافعالك الخيرة، وفي كل بلد ننزل يستقبلنا اسمك على صرح من صروحه، وتتحرك بفضل سمعتك الطيبة. لقد كان شغلك الشاغل القضايا العربية والإسلامية وعلى رأسها القضية الفلسطينية التي لم تتوان يوماً عن دعمها ومؤازرتها بكل الطرق وفي شتى الميادين وساندت الشعب الفلسطيني الشقيق سياسياً من خلال اتصالاتك الدولية لنصرتهم، ودعمك لمنظمة التحرير الفلسطينية ومن ثم للسلطة الفلسطينية، واقتصادياً بعملك اللامحدود من اجل مصلحة الشعب الفلسطيني، ومد يد العون له وذلك ببناء مدن ومستشفيات واعمال

خير وبر لا حصر لها.

في فترة وجيزة من عمر هذه الدولة وتحت قيادتك، سبقنا كثيراً من الدول، كيف لا، وفي عهدك شيدت العشرات من المدارس والكليات والجامعات يتخرج منها الآلاف سنوياً، بالإضافة إلى البعثات التعليمية إلى أحسن الجامعات في الخارج والتي تخرج منها الآلاف من الشباب المواطنين والمواطنات ، وفي مختلف التخصصات وحالياً يتبوأون مراكز مهمة في المؤسسات الحكومية والخاصة، ولا يخفى على أحد اهتمامك بصحة المواطنين ببناء المستشفيات وتوفير العلاج المجاني لأبناء الإمارات في أحسن المستشفيات خارج الدولة، بالإضافة إلى البنية التحتية الراقية التي تضاهي أرقى الدول، وحولت ارضاً صحراوية في ظل هذا المناخ إلى ارض خضراء متحدياً كل الصعاب.

سوف تظل يا زايد الخير، في قلوب اجيال عملت من أجل مستقبلها ووفرت لها الحياة الكريمة والسكن الملائم وبفضل جهودك ينعم كل مواطن ومقيم على أرضها بالأمن والأمان.هكذا كنت دائماً يا زايد، تعمل من أجل غد ابنائك ومن أجل مستقبل أمتك.

ان الكتاب مهما كتبوا عنك لن يوفوك حقك يا قائد مسيرتنا، وعزاؤنا انك سوف تظل مثلنا الأعلى ومثل الأجيال القادمة.

عزاؤنا ان مسيرتك سوف تستمر يا زايد، وسوف يحقق خلفك الصالح أمنياتك، ويواصلون مشوارك، وسوف يكون لنا مكان في مصاف الدول المتقدمة.. فإلى جنة الخلد يا زايد.

صناعة الكلام

يتحدث عالم الغد، لغة الكمبيوتر وتكنولوجيا المعلومات، وتتسابق الشركات في تقديم الأحدث في هذا المجال.

وما المعارض الخاصة بالتكنولوجيا والاكتشافات والاختراعات الحديثة، التي أقيمت على هامش قمة مجتمع المعلومات في جنيف ومؤتمر المدن المستخدمة للتكنولوجيا في ليون بفرنسا، ومعرض IBM الدائم في زيورخ، إلا دليل على أن ما هو قادم في هذا المجال أكبر مما يتصوره عقل الإنسان.

ومن خلال استراحة اليوم، أود أن أنقل إلى القراء بعض النماذج المستقبلية التي شاهدناها هناك.

ففي مجال الطب سوف يتمكن الأطباء قريباً من مراقبة مرضاهم عن بعد، وبواسطة جهاز صغير يثبت على جسم المريض ومن خلاله

يستطيع الطبيب متابعة الحالة ومراقبة الضغط + الحرارة + النبض وحالة المريض بشكل عام، وفي بعض الحالات الخاصة يمكن للطبيب إضافة متطلباته على الجهاز وهذا ما يسمى بـ .E. health

وفي مجال التلفزيون سوف يتمكن المشاهد من متابعة برامجه المفضلة في أي مكان، وذلك بواسطة جهاز تحكم Remote control يحمله معه في جيبه وبلمسة زر منه يمكن إظهار شاشة عرض على حائط أو على أي جسم ثابت يستطيع من خلالها متابعة جميع القنوات التلفزيونية.

أما آخر ابتكارات الهواتف المتحركة فهو جهاز يستطيع التعرف على صاحبه ولا يستطيع أحد غيره استعماله، لذا مستقبلاً إذا ترك أحدنا جواله في أي مكان يكون آمناً من أيادي الآخرين لأنه لن ينفعهم في شيء!!

وما دمنا بصدد الأمن، فإن آخر اكتشاف بالنسبة لرجال الأمن هو قبعة يلبسها الشرطي بها عيون صغيرة مرتبطة لاسلكياً بمركز القيادة، حيث يستطيع المراقب، متابعة تحركات الشرطي وما يجري معه أو ضده خارج المركز.

كما حظيت مكاتب رجال الأعمال وكبار الموظفين بجانب من هذه الابتكارات، ولم تغفلها التكنولوجيا الحديثة، فمكتب المستقبل يعمل بنظام الإرسال والاستقبال وذلك باستخدام جهاز التحكم عن بعد، كما يشتمل على شاشة كمبيوتر يستطيع صاحبه بلمسة من إصبعه نقل شاشة شفافة منه إلى أية جهة تناسبه كما يستطيع متابعة أعماله من خلال هذه الشاشة الشفافة دون الرجوع إلى جهاز الكمبيوتر

الثابت، كما يمكن له نقل جميع المعلومات الموجودة في المكتب إلى أي مكتب مماثل في العالم بواسطة جهاز التحكم عن بعد. أما آخر ابتكارات العصر فهو أصغر رقاقة إلكترونية في العالم، تم تصميمها على شكل حشرة تعيش في الطبيعة كما قيل لنا، ولها آلاف الأرجل وتعمل الرقاقة إلكترونياً بهيئة عمل الحشرة، حيث تتحرك أذرع إلكترونية بسرعة فائقة لالتقاط المعلومات، وعرضها ولا يمكن رؤية الرقاقة بالعين المجردة، بل نحن بحاجة إلى مجهر «مكبر» للاطلاع على تفاصيلها، وتعد أحدث اختراع عالمي في مجال حجم الذاكرة المستخدمة في الحواسب والأجهزة الإلكترونية.

هذه ليست سوى نماذج بسيطة مما تم عرضه في هذه المعارض وأغلب الشركات المصنعة أميركية أو أوروبية وهي تسعى جاهدة لاستخدام تكنولوجيا متطورة توفر كل تقنيات العصر الحديث للبشرية وفي جميع المجالات، وهناك دول شرق آسيوية تحاول منافستها.

ومما أثار إعجاب الزوار واستحسانهم، مشروع تقدمت به إحدى المؤسسات الهندية وهو نموذج لاستخدام الكمبيوتر في القرى النائية، ومن ضمن ما يقوم به هو تقديم خدمات صحية حيث يتم أخذ صورة للمريض أو أخذ قياس الضغط حسب الحالة عن طريق الجهاز وإرسال هذه البيانات بـ E. mail إلى الاختصاصي لكي يتمكن من وصف الدواء المناسب، بالإضافة إلى خدمات اجتماعية وتعليمية أخرى لهذه القرى وهذا ما اعتبره البعض إنجازاً اجتهدت لتحقيقه هذه المؤسسة وبإمكانيات بسيطة.

أما السؤال الذي رددناه معاً فهو أين الدول العربية من كل هذا التقدم وجاء الرد على لسان أحد الزملاء الذي قال: العرب لديهم صناعة واحدة يتميزون بها عن غيرهم، وهي صناعة الكلام، فلسانهم أقوى من أفعالهم.

التوطين.. قضية تستحق المناقشة!

قبل أسابيع تطرق عدد من الأخوة الكتاب في جريدة «البيان» إلى موضوع التوطين، وتناولوا من خلال زواياهم أهمية توفير الوظائف للعاطلين عن العمل من الشباب المواطن وأبعاد ذلك في حالة عدم التعامل مع هذا الموضوع بشكل جدي، وطالبوا باستمرار الحوار والمناقشة لاهمية هذا الموضوع.

ولأني كنت قد ذكرت ذلك سابقاً في استراحة البيان تحت عنوان «تركيبة اليوم وأجيال المستقبل» في العدد الصادر بتاريخ 27 مارس 2001 أرتأيت ان هذا الموضوع يستحق المناقشة أكثر خاصة بعد الأرقام الخيالية التي نشرتها وسائل الإعلام، كما يستحق أن يأخذ مساحات أكبر لأنه يتعلق بالوطن قبل المواطن، الذي هو جزء من هذا الوطن الذي يتكفل بتوفير فرص عمل مناسبة له ويضمن مستقبله

وحمايته، لأن المسألة لا تتعلق بالحاضر فقط، بل سوف تمتد تداعياتها إلى المستقبل.

إن أي مشكلة لا نتعامل معها بجدية، ولو كانت بسيطة قد تتفاقم، بحيث لا نستطيع السيطرة عليها، فهناك دول كثيرة لم تتعاط مع مشكلة البطالة بجدية في الماضي تواجه حالياً مشكلات لا حصر لها، ومع مرور الزمن أصبحت هذه المشكلة مستعصية لدرجة لا يمكن حلها، بل لا يمكن حتى السيطرة على تداعياتها.

وفي الدول المتقدمة مثلاً عندما يتقدم حزب لنيل ثقة الشعب للفوز في الانتخابات يضع في أولويات برنامجه رفع مستوى معيشة المواطنين وايجاد فرص عمل لهم، وعندما يضع الحزب خططه فهي بكل تأكيد تتضمن بناء مشاريع هدفها توفير فرص عمل للمواطنين ورفع دخلهم.

إن دولة الإمارات والحمد لله وبفضل سياسة قادتها وعلى رأسهم صاحب السمو رئيس الدولة حفظه الله تعطي الأهمية لتحسين مستوى معيشة المواطنين وفي مقدمتها قضية البطالة التي لاتزال تتطلب حلولاً متنوعة.

وحتى يكون حديثنا مبنياً على الواقع الحاضر فإني أنقل بعض الأرقام التي نشرتها إحدى الصحف المحلية بتاريخ 4 سبتمبر 2004 والتي تقول: إن عدد المواطنين والمواطنات الباحثين عن عمل وصل الى 22,500 هذا العام، فيما كان العدد 13,400 في أواخر العام الماضي، أي ان النسبة قد ارتفعت الى 60٪.

فإذا كانت هذه الأرقام صحيحة فهذا يعني اننا نتحدث خلال عشر

سنوات عن مئات الألوف من المواطنين الباحثين عن عمل في دولة بحجم عدد سكان دولة الإمارات العربية المتحدة، فلنا ان نتخيل تضاعف هذه الأرقام اذا لم نتعامل مع الموضوع بشكل جدي ونضع له خطة استراتيجية وبرنامجاً زمنياً للحد من هذه الظاهرة التي من شأنها ان تؤرق كل مواطن حريص على مستقبل بلده.

فالمؤسسات الحكومية الاتحادية والمحلية لا يمكنها استيعاب كل هذه النسبة، وعلينا إدراك ذلك مهما كانت مساحة عمل هذه المؤسسات، ولاشك ان هناك جهوداً تبذل بواسطة بعض المؤسسات والأفراد الحريصين على إيجاد حلول لهذا الموضوع المتفاقم، لكني اعتقد ان تكاتف الجهود واجب كل فرد منا، وعلى رأسهم القطاع الخاص، ولو أدى الأمر الى فرض بعض الأنظمة والقوانين على هذا القطاع لاستيعاب أبناء الوطن بدلاً من استقطاب احتياجاتهم من الأيدي العاملة من الخارج، فإذا كان القطاع المصرفي، كما ذكر في وسائل الإعلام، قد تجاوب ووصلت نسبة التوطين فيه إلى 26٪ خلال السنوات الخمس الماضية، وهذا جهد يشكر القائمون عليه، فلماذا لا نحرك جميع القطاعات الخاصة للقضاء على هذه المعضلة سواء بأسلوب ودي أو بالالزام والتكليف اذا اقتضى الأمر؟ وما علينا إلا وضع برنامج تنظيمي لتدريب المواطنين للالتحاق بهذه المؤسسات الخاصة، وايجاد وسيلة قانونية تلزم القطاع الخاص بتوفير عمل ولو لبعض المواطنين أو فرض نظام بديل مثل رسوم معينة تدفعها هذه المؤسسات تعويضاً عن ذلك لمنحها للعاطلين عن العمل لحين ايجاد عمل مناسب لهم، كما هو الحال في الدول الأوروبية.

فجوة إلكترونية

«ليون» مدينة فرنسية زرتها لأول مرة منذ أسبوعين، وهي مدينة جميلة ونظيفة، وثالث أكبر المدن الفرنسية.

يبلغ عدد سكانها حوالي مليون ومئتي ألف نسمة، وتبلغ مساحتها حوالي 47000 هكتار، يقسمها نهرا الرون، والون، وهي مدينة عريقة، ولها جذور تاريخية مع الشرق، كما قيل لنا وبالذات مع الصين من خلال تجارة الحرير، وقد قال لنا مرافقنا انها مشهورة بتجارة الحرير مع اننا حاولنا التعرف على ذلك عن كثب، إلا انه لم يسعنا إلا زيارة مصنع صغير لم نجد فيه شيئاً يذكر.

استضافت «ليون» مؤتمر المدن لمستخدمي تكنولوجيا المعلومات، وناقش المسؤولون خلاله أهمية استخدام تكنولوجيا المعلومات في حياتنا اليومية وعلى مستوى المدن، وما توصل إليه العالم في هذا

المجال، والفجوة التي يمكن ان يخلفها استخدام هذه التقنية المتطورة بين الشمال والجنوب، أي بين المدن الفقيرة والغنية، والتي يمكن ان تصبح أزمة حقيقية تواجه العالم إذا لم يتم ردمها.

لذا ركز المشاركون على أهمية التقارب بين المدن الغنية والفقيرة وتقديم المساعدة المادية والفنية في هذا المجال للمدن الفقيرة، فتحدث وزير الدولة الفرنسي لشؤون التطوير على أهمية هذه اللقاءات التي تتيح الفرصة للتقارب بين المدن، خاصة في مجال الخدمات المعلوماتية، وأكد ان فرنسا مستعدة لدعم الحكومات الغفيرة في هذا المجال، أما سكرتير الاتحاد الدولي للاتصالات فتمنى ان تستطيع هذه الطفرة التكنولوجية، توفير حياة أفضل للبشرية، وان يتم من خلالها توفير الغذاء والماء والعلاج الصحي.

ومن جانبه، أكد ضيف الشرف رئيس جمهورية السنغال انه على أوروبا مساعدة الدول الفقيرة، وبالذات الإفريقية لتتمكن من اللحاق بالركب التكنولوجي أو على الأقل عدم التخلف عنه.

وفي نهاية المؤتمر رفع المجتمعون توصياتهم إلى قمة مجتمع المعلومات التي عقدت أمس ما بين 10 و12 ديسمبر 2003 والغريب في الأمر ان المدن العربية خصوصاً الكبيرة منها، كانت غائبة عن اجتماع ليون،مع ان تكنولوجيا المعلومات أصبحت من أهم أدوات الإدارة الحديثة، وعاملاً أساسياً لتقدم المجتمع وأصبحت مقاييس التقدم والتخلف تقاس بما تم إنجازه في هذا المجال.

وفي تصنيف هيئة الأمم المتحدة لبرامج الحكومة الالكترونية احتلت دولة الإمارات المرتبة الأولى عربياً والحادية والعشرين عالمياً

ضمن فئة أبرز الدول المتقدمة في مجال الحكومة الالكترونية وذلك بتسجيلها 2,17 نقطة متفوقة في هذا التصنيف على اليابان التي سجلت 2,12 وأيرلندا 2,16 وروسيا 1,89 وجاءت الكويت في المرتبة الثانية عربياً بعد الإمارات حيث سجلت 2,12 والبحرين في المرتبة الثالثة 2,04 نقطة ولبنان الرابعة 2,00 نقطة.

والجدير بالذكر، ان التقارير التي صدرت في مؤتمر جنيف وضحت إشكالية واحدة وهي ان الفجوة الرقمية بين الدول الغنية والفقيرة تزداد اتساعاً وقد يصعب ردمها، خاصة وان الدول النامية ما زالت غير قادرة على مواجهة الفقر والتخلف وما زالت عاجزة عن استخدام التكنولوجيا الحديثة باعتبار ان ذلك لا يعد من أولوياتها خاصة وان هذه الدول ما زالت تعاني من أزمات أساسية، وتفتقر شعوبها إلى ابسط مقومات الحياة، كالمياه، والغذاء، والصحة، والتعليم، فهل يحق لها ان تطمح في الدول المتقدمة لكي تقدم إليها إلى جانب المساعدات الإنسانية، مساعدات تكنولوجية تضمن لشعوبها اللحاق بهذا الركب، وحتى لا يخلق هذا التقدم العلمي المتطور عبئاً آخر على البشرية يصعب التغلب عليه!

الفهرس

الباب الأول

أوراق وجدانية

العرب يحكمون العالم 9
قطار العولمة 13
محتل نعرفه خير من محتل لا نعرفه! 17
خيال المخترعين وأمجاد العرب 21
من المسؤول عن كل هذا 25
الرجال من المريخ 29
هل نتعلم من الغلبين؟ 33
دستور أوروبا والعملة الخليجية 37
حوار ساخن بين عام مضى وعام جديد 41

الباب الثاني

أوراق ملونة

الحلم شيء والواقع شيء آخر 45
«مملكة الجنة» والقضايا العربية 51
سبق صحفي بألف عام 53
تغيير المفاهيم والموروثات 57

الأميركيون العرب .. مكاسب وهموم 61
«قناة الحرة» وتجميل الصورة الأميركية 67

الباب الثالث

أوراق الواقع

خفايا الاهتمام الأميركي بالمنطقة 73
تركيا أكثر عروبة من العرب! 77
أقوى الأشياء أضعفها .. وأضعفها أقواها 79
بعد عام من «تحرير العراق» 85
غالاوي .. العربي 89
تركيا من العثمانيين إلى أردوغان 93
الإصلاح التائه في العالم العربي 97
سيدي الرئيس سوف تفقد وظيفتك 101
الخطأ فينا أم فيهم؟ 105

الباب الرابع

أوراق المسافر

عروس البحر ومدينة «إيفان الرهيب» 111
أميركا والعرب .. علاقات شد وجذب 117
«هايد بارك» من المشنقة إلى الحرية 121
ألذ بيتزا أكلتها في حياتي! 125
اليابانيون كيف كانوا وأين أصبحوا؟ 129

خبير الإشارة الحمراء!! 133
مدينة المزايا الثلاث! 137

الباب الخامس

أوراق الوطن

غياب الحرفيين .. تقصير حكومات أم تبعات استعمار 143
إرادة الإنسان وراء كل إنجاز 147
إعادة تخطيط .. المنتخب 151
إلى جنة الخلد يا زايد 155
صناعة الكلام 159
التوطين.. قضية تستحق المنافشة! 163
فجوة إلكترونية 167